
لشيخ الإسلام محمّد
شرح الأست
أناهيد بنت عي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء الأول للسنة الثانية

كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

اللّقاء الأول	4
اللّقاء الثّاني	33
اللّقاء الثّالث	69
اللّقاء الرّابع	98
اللّقاء الخامس	131

اللّقاء الأول

13 محرم 1441

باب ذكر ضعف القلب

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلّنا على الله، نعود مرّة أخرى لدراسة هذا الكتاب، (**كتاب الكبائر**)، وقد مرّ معنا دراسة جزء منه خلال العام الماضي.

سأبدأ من نقطة البداية، أراجع عمومًا مسألة الكبائر: أين موقع مسألة الكبائر في الدّين؟

الدِّينُ هو ما تدينين به، وتعلمين أنّك ستحاسبين عنه؛ كأنّه باب من أبواب الدَّيْنِ، فهو في عنقك وأنت مُحاسَبَة عليه، مُحاسَبَة على الأوامر الّتي تُؤْمَرين بها أن تفعليها، وعلى النَّوَاهِي أن تتركيها، في عنقك بمثابة الدَّيْنِ؛ فالله هو الـمُحْسِنُ، وأنت أيّها العبد الـمُحْسَنُ إليكَ. أنت في موقف الشّاكر، وهو -سبحانه وتعالى- الـمُحْسِنُ المتفضّل، وكلّ العبادات والامتثال للأوامر والاجتناب للنّواهي إنّما هو من

باب الشّكر على النّعماء، قال تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا)[1]، **أي:** عملكم هذا بامتثال الأوامر واجتناب النّواهي إنّما هو من باب الشّكر.

إذَا كان هذا هو الدِّين، وقد عرفنا أنّ الدِّين كالدَّيْنِ المعلّق برقبتك، سيأتي يوم القيامة وتحاسبين على هذا الدَّيْنِ: هل صنعت ما أُمِرْت به؟ هل انتهيت عمّا نُهِيت عنه؟ تكونين أحسنت، ويحسن الله إليك، ويدخلك في رحمته، نسأل الله من فضله.

وخلاف ذلك تكون له درجات، يعني: حتّى امتثال الأوامر فيه درجات، الوقوع في النّواهي له درجات.

ما درجاته؟ هناك من النّواهي ما تسمّى بـ (الكبائر)؛ كبيرة عظيمة أن تقترفيها في حقّ الله الـمُحْسِن إليك، عيب عظيم عليك أن تفعلي هذا في حقّ من أحسن إليك.

إذًا: هذه اسمها الكبائر. من أيّ وجه أتى اسمها الكبائر؟ يعني: عظيمة في الفحش، عظيمة في القبح، قبح هذا التّصرّف كبير في حقّ من أحسن إلينا، فهكذا صار اسمها كبائر، معنى ذلك: أنّها معصية ومخالَفَة لا تليق بأيّ مؤمن

---

[1] () سبأ: ١٣.

يعرف عظمة الله، ويعرف منّة الله، ما يليق به أن يأمره مولاه فيكون منه العصيان.

هل العُصاة كلّهم ارتكبوا نفس الدّرجة في المعصية؟ **فهمنا**: أنّه حتّى العصيان عبارة عن درجات ومنها الكبائر. يعني: عظيمة في قبحها أن تصدر منك مع مولاك. هذه الكبائر هل هي معدودة؛ تعرفينها بالعدّ أو محدودة تعرفينها بالحدّ؟ معدودة أم محدودة؟

إذا كانت معدودة؛ ستقولين: الزّنا، الرّبا، شرب الخمر. بهذه الطريقة معدودة؛ أنّها مثلا: سبعة. محدودة فهي ككلام ابن عبّاس. انظرن إلى كلام ابن عبّاس الّذي يعلّق فيه على الآيات السّابقة. روى ابن جرير، عن ابن عبّاس، قال: "الكبائر، كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعْنة، أو عذاب"[2]، أصبحت محدودة، لها حدّ. ماذا يُقصد بحدّ؟ حدّ تعرفه بها.

تقرئين في كتاب الله، إذا وجدت آية فيها خبر عن ذنب، وقيل عن صاحبه، أو قيل لصاحبه: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)،

---

[2]() جامع البيان _ ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) _ تفسير الآية (31) سورة النّساء.

(مَأْوَاهُمُ النَّارُ)؛ يصير هذا الذّنب كبيرة، قبيحة عظيمة ما تصدر من عبد لسيّده ومولاه

قال: (وله عنه قال)، ابن جرير، نقل عن ابن عبّاس، وله عنه: (قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار)[3]، يعني: هناك مسائل قبيحة وعظيمة جدًّا أن تكون منك أنت لربّ العالمين لكن لو صدر النّدم، الانكسار، الذّلّ، العزم على ألّا تعود، العودة لربّ العالمين، ماذا يحصل في هذه القبيحة جدًّا؟ تُمحى وإذا زاد النّدم، وزاد الانكسار، وزاد الذّلّ، وزاد الإحساس بقُبح ما فعل الإنسان، وزاد حياؤه وزاد، وكلّ مرّة يتذكّر هذا الأمر يحتقر نفسه أنّه:

- ⇐ كيف يفعل هذا وربّ العالمين له أفضاله عليه؟
- ⇐ كيف يفعل هذا الفعل وربّنا ينظر إليه؟
- ⇐ كيف يفعل هذا وربّنا ستّير عليه؟

إذا زاد هذا الشّعور وزاد، تحوّلت نفس هذه السّيّئات إلى حسنات في ميزان العبد، وهذا من فضل الرّبّ الكريم الّذي

---

[3] () نفس المصدر السّابق.

تفضّل على عباده ففتح باب التّوبة، بل أعظم من ذلك، أنّه إذا صدق العبد صدقًا تامًّا قَبِلَهُ الرّبّ وجعل كلّ خطوة من خطواته السّيّئات كأنّها خطوة من خطواته الحسنات، كلّ الّذي كتبته ملائكة الشّمال تنقله له ملائكة اليمين حسنات، فهذا هو الرّبّ الكريم، وهذا الّذي يجب أن تعلميه عن الله لتكوني دائمة الإسراع إلى الله. فلا ييئّسك الشّيطان مهما حصل، مهما وقعنا في سفاهات، مهما تخطفتنا الشّياطين -نعوذ بالله من الشّياطين- مهما حصل هذا يبقى الإنسان حريصًا على العود والرّجوع لأنّ له ربًّا كريمًا عظيمًا، باسطًا يديه لمسيء النّهار، باسطًا يديه لمسيء اللّيل، بل إنّه -سبحانه وتعالى- من ستره على عبده يجعل التّوبة بينه وبين عبده، لا أحد يتدخّل في هذه التّوبة أبدًا: «فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[4]، من ستره أنّه ينادي في الثّلث الأخير من اللّيل: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[5]، فلا يكون بينك وبين الله أحد أبدًا بل يكون هذا ستر اللّيل المرخي عليك من معالم ستر الله على العبد، وتكونين أقرب ما تكونين في السّجود لربّ العالمين من معالم ستر الله للعبد؛ لأنّك حين تسجدين لا يراك أحد، ولا أحد يشعر بما أنت فيه، فيكون هذا من آثار السّتر أن تكوني أقرب

---

[4]() أخرجه البخاري (5972).

[5]() أخرجه البخاري (1106).

ما تكونين لربّ العالمين في سجودك، وأن يناديك ربّ العالمين في الثّلث الأخير من اللّيل؛ فاللّيل بظلمته ساتر، والسّجود بحالته ساتر، فيجتمع على العبد كلّ أنواع السّتر؛ فربّنا السّتّير ينادي عباده. فمهما تكلّمنا عن الكبائر تبقى هذه القاعدة دائما نذكّر أنفسنا بها.

ولا تتصوّري أنّنا نتكلّم عن الكبائر؛ لأجل أن يقع في النّفس اليأس إنّما لتحصل المراجعات الدّائمة، فدائما نراجع أنفسنا كلّ أسبوع ونتقابل ونذكّر أنفسنا بالكبائر: (وأنّ هذا في حقّ الله قبيح، وهذا في حقّ الله قبيح، وأنّ الله مُنعم، وأنّ الله قريب، وأنّ الله ستّير.)، نذكّر أنفسنا بأنّ هذه كبائر وقبائح لنعود بسرعة؛ لأنّ الذّنب يشبه بقعة الدّم على الثّوب الأبيض، إن بادرت بغسلها ذهبت، وإن تأخّرت فإنّك حتّى لو غسلتها بعد ذلك لابدّ أن يبقى منها أثر؛ فهذا التّذكير لسرعة المبادرة لربّ العالمين؛ "لا كبيرة مع استغفار"، وما يأتيك الشّيطان ويقول لك: "ذنوبك عظيمة؛ استحيي أن تطلبي ربّ العالمين" لا، بالعكس بل استحيي ألّا تطلبين ربّ العالمين، استحيي أن تُعرض عليك هذه الذّنوب يوم القيامة، بادري الآن بمحوها؛ لأنّ هناك الموقف الذي سيكون أمام العالمين، وهنا سُتُورُ السِّتْرِ مرخيّة عليك، فاستفيدي من السّتر، لكن في

ذاك الموقف يُنَادَى على المذنبين، ويُفضح أمر غير التّائبين خصوصًا أصحاب القبائح العظيمة.

إذًا الكبائر قبائح عظيمة، تكون فيها معصية، رغم كلّ هذا القبح لكن نقول كما قال ابن عبّاس: "لا كبيرة مع استغفار".

كذلك ابن عبّاس، أشار إلى الأمر الآخر أيضًا، فربّما أمور ما عُدّت أنّها كبائر وقبائح عظيمة، معصية لكنّها ليست قبيحة عظيمة، يعني: تأتي من الإنسان نتيجة طبيعته، أو نتيجة أوضاع معيّنة يمرّ بها الإنسان فممكن أن تقع منه هذه المعاصي والأخطاء؛ نعم، تقع منه هذه الصّغائر لكن لابدّ أن تعرفي أنّ هذه الصّغائر رغم أنّها ليست قبائح عظيمة إلّا أنّها لو اجتمعت تُهلك الإنسان والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مَثَّلَها أعظم مثال وأسهل مثال.

ما أقرب الأمثال القرآنيّة والنّبويّة لهذا العقل، وما أعظم الإضافة الّتي تضيفها هذه الأمثال على تفكير الإنسان، وتسبّب له الهُدى والرَّشاد. وَصَفَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، -لتتصوّري كيف أنّ هذه الصّغائر يمكن أن تهلك، فلا تستحقرينها- المثل المشهور الّذي تعرفنه كلّكنّ، أنّه مَثَّلَ -صلّى الله عليه وسلّم- الصّغائر كقوم نزلوا بطن وادٍ،

وأرادوا إنضاج طعامهم. ماذا يحتاجون؟ حطبًا. فأتى كلّ واحد منهم بخشبة، ووضعوها تحت قدرهم. ماذا ستفعل هذه الصّغيرة، وهذه الصّغيرة؟ ستنضجه. فهكذا الصّغيرة، الصّغيرة، الصّغيرة، تُهلك صاحبها. فهي وحدها ليست بقبيحة عظيمة، لكن هذه وهذه، مع تكرارها وكثرتها، ماذا تفعل في الإنسان؟ تُهلكه.

الأسوأ من هذا أن يأتي إلى صغيرة، ويعرف أنّها معصية للربّ الكريم، وتهون عليه نفسه ونحن مرّ معنا الأسبوع الماضي قوله تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ)[6]، تكلّمنا عن تكريم الله -عزّ وجلّ- لنا، وجعل أرواحنا -هذه الّتي في أجسادنا بين أضلعنا- لها مطلب السّمو، كرّمنا، جعل روحنا ترفعنا إلى السّماء، وإن كانت أبداننا تشدّنا إلى الأرض.

الشّاهد: من الممكن للإنسان أن يهين نفسه، بأيّ شيء؟ يأتي إلى الذّنوب والمعاصي ويقول: "هذه صغيرة، وهذه صغيرة، وهذه صغيرة" ويبقى مصرًّا، مصرًّا، لا تنظري للذّنب؛ وإنّما انظري لنفس الإصرار، فالإصرار نفسه فيه تصرّف قبيح مع ربّ العالمين؛ كيف تصرّين على أن

---

[6]() الحج: ١٨.

تبارزيه بالمعاصي؟ كيف يأمرك وما تطيعينه؟ وهذا يجعل الإنسان يعرف، **صحيح أنّ الـمُسَلَّمَ** به: أنّه لا يمكن أن يكون ابن آدم سالـمًا من الأخطاء، فقد قال النبي: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ»[7]، ولو لم يكن هناك خطيئة لاعتقد الإنسان نفسه أنّه من الملائكة ولحصل هنالك مشكلة أخرى، **ألا وهي**: الكِبْر. لكن الله -عزّ وجلّ- جعل هذه النّفوس متوازنة بأن يقع منها الخطأ، ويحصل منها أيضًا التّوبة. **فالآن هذا هو الـمُسَلَّم الأوّل**: أيّ إنسان لابدّ أن يقع منه الخطأ.

ما الفرق بين الخطأ الّذي أقع فيه من آثار الطّبيعة النّفسيّة، وآثار الضّغوط الّتي حولي، وأنفعل فأدخل في خطأ، وبين الخطأ الّذي أنا أصرّ عليه وأختاره اختيارًا؟ فرق كبير؛ في الطّبيعة الإنسانيّة لو أنّ الإنسان يأتي أحد ويهاجمه، يتعدّى عليه بالكلام؛ من الطّبيعي أنّه سيحتمي لنفسه، وأنّه من الممكن أن تسيء أخلاقه.

سأضرب مثالًا: حين نذهب إلى الحرم في أيّام الرّخاء لا يكون هناك ازدحام، فندخل ونخرج -الحمد لله- ممتثلين للآداب الإسلاميّة؛ وحين نكون في الرّخاء نقول: "يجب علينا تعظيم الحرم" لكن تعالي في الزّحام، تعالي في الحجّ،

---

[7]() أخرجه الترمذي (2536).

فبمجرّد أن يدفعك أحد ستدفعينه مباشرة فرغم كلّ هذا الّذي حفظناه، سنأتي في الموقف وسندفع الناس مباشرة طبعًا هذا الّذي يحصل منّا، لكن سنرجع نشعر في أنفسنا بأنّنا أخطأنا، وما كان الواجب علينا فعل ذلك، وهذا الفعل الذي صدر منّا ليس مثل أحد يكون أتى من بلده ناويًا أنّه: "إن دفعني أحد سأدفعه وإن فعل لي أحد كذا سأفعل له كذا" هناك فرق طبعًا بين أن تأتي قاصدة المعصية ومصرّة عليها -حتّى لو كانت هذه الدّفعة البسيطة- وفرق بين أنّك مع طبيعتك البشريّة يحصل لك ما يحصل للبشر، فأنت بشر.

إذًا معنى هذا:

1) أنه لا يمكن لأحد أن يسلم من الخطأ.

2) وأن الخطأ مهما قلّ؛ المهمّ أن لا يكون مصاحبًا له الإصرار.

يأتي الأمر الثّالث: من أين يأتي الخطأ؟

⇐ من الانفعالات الطّبيعيّة الإنسانيّة الّتي تأتي في أحوال الاضطراب.

⇐ من الشّهوة الّتي يمكن أن تغلب الإنسان ثمّ تذهب ويستفيق الإنسان.

⇐ من السِّنِّ الّذي يكون للإنسان فيه صبوة، كما في الحديث: «يَعْجَبُ رَبُّكُمْ -عزّ وجلّ- مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[8]، يعني: يذهب هكذا يمينًا ويسارًا ينحرف قليلًا عن الطّريق المستقيم وبعد ذلك ربّنا يردّه.

فالمقصد الآن: أنّ الذّنوب فيها عوامل طبيعيّة إنسانيّة، لكن هذا شيء مختلف عن الإصرار.

لأجل أن تبقى الكبائر كبائرًا -هذا شيء مهمّ عندنا- لابدّ من تعظيم الله. النّاس لماذا هانت في نفوسهم الكبائر؟ ضَعُفَ الإيمان؛ حين يضعف الإيمان تهون الكبائر في النّفس، طبعًا هناك أسباب كثيرة لتهون الكبائر في النّفس:

- اشتراك النّاس في حصول الكبيرة.
- أو أحيانا يكون عدم التّنبّه.

---

[8] () أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (40298).

 أو عدم المعرفة التّفصيليّة بالكبيرة.

مثلًا: ممّا مرّ معنا، دعنا نرى: (ص 14)، مرّ معنا هذا الباب: **(باب الفحش)**، هذه كبيرة من الكبائر، والآية الأولى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا)[9]، ثمّ ذُكر عذابهم في الآية، فأنت بذلك أدركتِ أنّ إشاعة الفاحشة من الكبائر.

انظري لهذه الكلمة: (إشاعة الفاحشة من الكبائر)؛ كلمة، جملة مفيدة. ما واقعها؟ ما هي صورة إشاعة الفاحشة؟ اليوم صور إشاعة الفاحشة لا نهاية لها كلّ النّاس الّذين يعيدون نشر صورًا فيها فاحشة ويرسلونها، الّذين يعيدون نشر أيّ نوع من أنواع المعاصي على وجه التّحذير، على وجه التّنبيه، على وجه القصّة، على وجه الحكاية؛ كلّهم يشتركون في الدّخول في هذه الكبيرة كلّهم يشتركون في إشاعة الفاحشة

فأين الإشكال هنا الآن؟ الإشكال أنّ العَالِمَ بأنّ إشاعة الفاحشة كبيرة، ما يعرف تطبيقاتها، ما يعرف تفاصيلها، فيمكن أن يكون مشيعا للفاحشة وهو لا يشعر **السّبب**: الجهل بتفاصيل الكبيرة. أي أنّ الإنسان يكون يعرف أنّ هذه فحشاء،

---

[9]() النور: ١٩.

يعرف أنّ هذه كبيرة وقبيحة جدًّا عند ربّ العالمين، لكن ما يعرف أنّ هذا التّصرّف اسمه كذا.

دعنا نأتي بمثال أبسط من هذا: الآن النّميمة، الغيبة، كلّها من وجوه الكبائر -ستأتينا بعد ذلك في كبائر اللّسان- حين يأتي أحد بعدما يتكلّم ويتكلّم ويحكي لك عن أحد، إلى أن وصل بك إلى أن امتلأ قلبك عليه، ويمكن أنّك لو رأيته لا تسلّمين عليه فتقولين له: "أنت قد جمعت بين الغيبة والنّميمة، قلبي قد أفسدته، وانتهى الموضوع ولم يعد هناك أيّ مصلحة من الكلام" فيقوم بالرّدّ عليك ردًّا باردًا، يقول لك: "أنا لو قابلته أقول له هذا الكلام في وجهه" هذا الرّدّ لا علاقة له في إخراج هذا الكلام من كونه كبيرة.

أو أن يأتي أحد يقول: "أنا لابدّ أن أفضفض وإلّا فإنّي أموت" على أنّ كلّ هذا الكلام الّذي يقوله اسمه ليس بالغيبة؛ وإنّما فضفضة فتسمية الأشياء بغير اسمها كذلك أزمة كبيرة كلّ هذه الأمور تجعلنا من الممكن أن ندخل في هذه المشاكل دون أن نشعر ولا تسألنّي: (ألا نفضفض؟)، لا، ليس هذا موضوعنا، وكلّ من يريد أن يجعل قلبه باردًا ليس فيه إشكالات فليسر على المنهج الشّرعيّ، وليعرف أنّ الشّكوى

لربّ العالمين، والاستعاذة من الشّيطان الرّجيم، والسّير بالمنهج الصّحيح؛ تطفئ نار القلب، لكن نحن لا نسمح لأنفسنا بالاستعاذة من الشّيطان الرّجيم. بل نشعر أنّنا نتكلّم، ونريد أن نزيد كذلك كلامًا، والكلام لم يبرّد خواطرنا بعد ولن يُبرّدها طبعًا لكن اسم الله الجبّار من الأسماء المهمّة في هذا الموقف، أنّه: "أنا مكسورة، الله يجبر كسري؛ أنا مقهور، الله يزيل ما بي من قهر؛ أنا مغبون، الله يرفع قدري؛ فإنّ الله على كلّ شيء قدير"، لكن نحن ما هي مشكلتنا؟ كلّ شيء نريده بسرعة نريد أن نأكل بسرعة ونمشي بسرعة وكلّ شيء بسرعة، وحتّى حقوقنا نريدها بسرعة وقد قال تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)[10]، تصوّري: يومًا واحدًا عند ربّنا كألف سنة دعنا نفترض: حين تكون عندك مشكلة لها ستّون سنة، ماذا تكون في أيّام ربّ العالمين؟ لا شيء لأنّ (يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)؛ فهذه تكون أسرع ما يكون في حكم الله، لكن أنت اصبري، اصبري؛ إنّ الله مع الصّابرين.

المقصد: أن نعلم أنّ الشخص قد لا يشعر بدخوله في هذه القبائح والكبائر.

---

[10]() الحج: ٤٧.

واليوم حين نتكلّم عن الكبيرة الّتي سنناقشها؛ ستتصوّرن ذلك، اليوم نقدّم لها بمقدّمة -وإن شاء الله الأسبوع القادم- نكمل الكلام. **ستتصوّرن**: أنّ الإنسان يمكن أن يكون مرتكبًا لكبيرة وهو لا يشعر.

نحن في السّنة الماضية لـمّا انتهينا، كان آخر باب تدارسناه: **(باب ذكر قسوة القلب)**، وذكرنا كيف أنّ قسوة القلب من الكبائر العظيمة، وتناقشنا في أسباب إزالة قسوة القلب. سنبدأ اليوم في **(باب ذكر ضعف القلب)**، والأسبوع القادم نكمله، وفي نفس الوقت نراجع الكلام السّابق، الّذي **هو**: قسوة القلب، ونقارن بين القسوة، وضعف القلب؛ لأنّهما متّصلان.

نحن الآن في الصّفحة (17)، اقرئي الباب كلّه:

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب الكبائر: **"باب ذكر ضعف القلب**، وقول الله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[11]. الآية. وقوله تعالى: ﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

---

[11]() الكهف: ١٤.

مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[12].

وقوله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ). الآية: [13]، وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)[14].

ولهما عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده، والمهاجر مَن هَجَرَ مَا نَهى الله عنه»[15]."

نحن لـمّا بدأنا بدراسة الكبائر، رأينا أنّ الشّيخ -رحمه الله- قسّم القبائح إلى مجموعة أقسام، معتمدًا في هذا التّقسيم على مصدر الكبيرة، فذكر أوّلًا أنّ هناك كبائر قلبيّة، هذه الكبيرة تُعتبر آخر الكبائر القلبيّة. سيأتي بعدها مباشرة **(أبواب كبائر اللّسان)**، وهكذا. يعني: على حسب مصدر الكبيرة، فهناك كبائر يرتكبها القلب ما يشاركه شيء، **بمعنى**: أنّه يمكن أن يصدر سلوك من هذه الكبيرة ويمكن أن لا يصدر، مجرّد وقوعها في القلب يُعْتَبر كبيرة، فهي لابدّ أن يصدر منها

---

[12]() العنكبوت: ١_3.
[13]() المائدة: ٢٢.
[14]() العنكبوت: ١٠.
[15]() أخرجه البخاري (10).

سلوك، لكن هي ما تُحْتَسب كبيرة للسّلوك الّذي صدر منها؛ فهي بنفسها حصولها في القلب تُعْتَبر كبيرة.

سهل جدًّا أن نمثّل على ذلك بأوّل الكبائر الّتي ذكرها هو. أنا أريد أن أراجع:

انظرن الآن: في الصّفحة **(5)**، لأجل أن تتأكّدي: ماذا تعني الكبائر القلبيّة؟ قال: **"باب ذكر الكِبْر"**، الكِبْر هذا بنفسه مكانه القلب. وقد لا تأتي ظروف لظهوره، لكن «لَا يدخلُ الجنةَ منْ كانَ في قلبهِ مثقالُ ذَرةٍ مِن كبرٍ»[16]، إن جاءت ظروف لظهور هذه الصّفة، تأكَّدَ الإنسان أنّه متكبّر. وإن لم تأتِ ظروف، لابدّ أن يفكّر، ويلحظ نفسه، ويرى ما الّذي يدور في قلبه؛ والله ما يترك أحدًا إلّا الّذي يكون في قلبه مرض؛ الله يدخله في اختبار، يكون نتيجة هذا الاختبار أن يكتشف ما في نفسه.

إذًا: هذا الكِبْر بدون أيّ تصرّف؛ مجرّد وجوده في القلب يُعْتَبر كبيرة؛ قال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إنَّ الله لاَ يَنظرُ إلى صوركُمْ، ولاَ إلى أَموالكُم ولَكن ينظرُ إلى قلوبِكمْ وأَعْمَالِكُمْ»[17]، فالقلوب هذه كاسبة، كما ذكر الشّيخ في

---

[16]() أخرجه مسلم (91).

[17]() أخرجه مسلم (2564).

الأدلّة: «أَلا وَإِنَّ في الجَسدِ مُضغَةً: إِذَا صلحتْ صلَحَ الجَسَدُ كُلهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فسدَ الجسدُ كلهُ، ألا وهيَ القلبُ»[18]، فصلاح الجسد، وفساد الجسد، مبنيّ على صلاح القلب. ولكن أين المشكلة؟ أنّ النّاس دائمًا يتصوّرون أنّ القلب إذا حصل فيه ما حصل من أشياء؛ فإنّه ما يضرّ إذا دار هناك تفكير في النّفس؛ وإنّما أهمّ شيء أنّه ما يخرج على الجوارح. وهذا فهم خاطئ للنّصوص.

الّذي لا يحاسب عليه الإنسان هو الّذي يمرّ ولا يستقرّ، خاطرة تمرّ ولا تستقرّ؛ أمّا ما استقرّ في النّفس فهذا جزاؤه على حسب؛ إن كان حسنة، كُتبت له حسنة، وإن كان سيّئة، كُتبت له سيّئة؛ ولذا كما ورد في النّصوص: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ»[19]، من هم هؤلاء؟ دعنا نذكر الرّجل الأوّل: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ»[20]، يعني: يصرفه في الحقّ. أمامه رجل آخر ينظر إليه، ما عنده مال لكنّه يتمنّى أنّه لو كان عنده مال ففعل مثل فعله، فالنّبيّ

---

[18]() أخرجه البخاري (52).

[19]() أخرجه التّرمذي (2353). متن الحديث: «وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)).

[20]() أخرجه البخاري (73). متن الحديث: «سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)).

-صلّى الله عليه وسلّم- يقول: «فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»، ما أوسع كرم الله يعني: مجرّد تمنيك أن تكوني مثله في الحقّ، تأخذين أجرًا مثلما أخذ في النّيّة، يعني: نيّتك ونيّته تنطبقان؛ تأخذين أجر النّيّة، وهو يزيد عنك -طبعًا- في أجر نفس العمل.

لو بالعكس نأتي للرّجل الثّاني، الثّاني عنده مال وسلّطه على هلكته في الباطل، ماذا يقول الرّجل الثّاني؟ يقول: «لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»، إذًا هذا معناه: أنّه فقط في القلب بدون أيّ تصرّف وانفعال خارجيّ أصبح مرتكب كبيرة، أو تُكتب له حسنة؛ فهذا معناه ألا تتركي قلبك تمرّ فيه الخواطر؛ ثمّ إنّها تعشعش، وتصير هذه الفكرة الدّائمة، والّتي تمرّ على الخاطر، والّتي كلّما صفيت مع نفسك جاءتك هذه الفكرة، وكلّما وضعت رأسك على الوسادة دارت هذه الأفكار لا فإنّ هذا الّذي يدور في التّفكير وفي الفؤاد ليس لعبة لا يُحسب إنّما فؤادك مكان لنظر الرّبّ. ما هو موقفك؟ يجب عليك أن تطهّريه وتزكّيه، كما أنّك تخشين أن يطّلع عظيم على خاصّة شأنك فيجد فيها قذارة، كما أنّك تستحيين أن يفتح أحد بيتك فيجد فيه قذارة، يجب أن تستحيي من نظر الرّبّ إلى هذا القلب وفيه ما يشين.

لكن نعيد ونكرّر على أنفسنا: نحن بشر يقع منّا ما يقع، كلّما ظهرت أوساخ أزلناها بالتّوبة والاستغفار -والحمد لله- الّذي رزقنا العلم، وسهّل لنا أبوابه، الله يزيد، ويبارك، ويحفظ علينا هذه النّعمة، ويجعلنا من الشّاكرين.

فهذا العلم أيضًا من أبواب إزالة هذا الخَبَثِ؛ ولذلك الله في سورة الرعد، قال: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا)، أنزل الوحي من السّماء، نزل على القلوب الّتي بمثابة الأودية، حمل منها وَسَخَها وقَذَرَها، فتطهّرت بالعلم، (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)[21]، يمكث في الأرض، يعني مثلما تقولين: تسمعين العلم، يُخْرِجُ لك الأوساخ فتدفعينها، وتدفعينها، وتجاهدين، حتّى يمتلئ القلب بالإيمان، فيمكث الإيمان ويذهب الوسخ، الله يزيل من قلوبنا كلّ باطل، ووسخ، ويزيل من قلوب أبنائنا، ويحفظ عليهم دينهم، اللّهمّ آمين.

الآن سنفكّر في هذه الكبيرة -الغريبة نوعا ما-: قسوة القلب، تصوّرناها؛ أنّ الّذي يترك قلبه قاسيًا فقد ارتكب كبيرة في حقّ نفسه. وعرفنا الأسباب الّتي تصل بنا إلى قسوة القلب.

---

[21]() الرعد: ١٧.

هنا أمر أهون من السّابق، ليس في منزلة السّابق نفسه، لكن يُعتبر أيضًا كبيرة. لـمّا أتى يعرّفه الشّيخ، قال في عنوانه: **"باب ذكر ضعف القلب"**، يعني: ما هي الكبيرة؟ **ضعف القلب**؛ أن يكون القلب ضعيفًا، ليس قاسيًا، فلم يصل إلى مرحلة القسوة؛ إنّما هو في مرحلة الضّعف. والشّيخ من عادته من أجل أن يبيّن لك الأمر؛ يذكر لك الكمال، يعني: من الممكن أن يذكر لك آيات تدلّ على الكمال، ويذكر لك آيات تدلّ على عكسه، يعني: هذه مَنْقَبَة وضدّها مَثْلَبَة.

أين المنقبة؟ انظرن إلى الآيات: أين ذكر المنقبة في القلب؟ أن يكون القلب مربوطًا عليه، هذه الآية في سورة الكهف: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، هنا ذكر منقبة، أنّ هؤلاء الفتية الّذين واجهوا الباطل. كان أهل الباطل هم أهلهم جماعتهم كبار أقوياء لهم منزلة عاشوا حياتهم كلّها وهم يعبدون الحجارة، هؤلاء الفتية: (قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[22]، يعني: أمام أهل الباطل وقف هؤلاء الفتية ومعهم الحقّ، ما أصعبه من موقف تصوّري: أنّك تجتمعين مع أهلك، وتظهر منكرات فكريّة، ومنكرات في اللّباس، قولي لهم كلمة واحدة فقط، فالّذي يقاطعك، والّذي ما يهتمّ بالكلام، والّذي يأتي

---

[22]() الكهف: ١٤.

المرّة القادمة يعاندك. وكلّ هذا حاصل، فنحن عادة حين يحصل مثل هذا نقوم بالتّراجع إلى الوراء، أو يكون في قلوبنا خوف كبير فلا نريد أن نكلّمهم بينما هؤلاء الفتية، الآن انظري إلى موقفهم: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، حتّى أنّهم فتية صغار واجهوا مجتمعًا كاملًا من آثار ربط الله على قلوبهم فهذه هي المنقبة؛ أن يكون الإنسان يحمل الحقّ، ويُرْبَط على قلبه، فَيَثْبت على الحقّ، ويدفع عن نفسه الباطل.

إذًا: ما أثر ربط الله -عزّ وجلّ- على قلوب الفتية؟

- ⇐ ثباتهم على الحقّ.
- ⇐ وقوّة دفعهم للباطل.

من ثباتهم على الحقّ: مواجهة القوم بالحقّ. القوم رفضوا الحقّ، هروبهم من القوم لأجل أن يبقوا على الحقّ، هذا من قوّة قلوبهم، القوّة الّتي أتت من ربط الله على قلوبهم.

دعنا نرى الآن هذه القوّة: قوّة قلوبهم كيف أثّرت في تفكيرهم؟ **أوّل شيء في المسألة**: كيف أنّ قوّة القلوب هذه بعد أن عرفوا الحقّ، جعلتهم يقدّمون الأولويّات الصّحيحة على الثّانويّات المتأخّرة. القصّة مشهورة، وفي هذه القصّة

أنّهم لـمّا قاموا من النّومة الّتي أنامها الله لهم، طلبوا أحسن الطّعام، وكان معهم فضّة، فهذا دليل على أنّهم من مُترفي القوم.

مترفو القوم لـمّا عرفوا الحقّ -انظري: ربط القلب الآن قوّته هنا- ما أضعفتهم إرادة التّنعّم، وإرادة الدّنيا، وما يتّصل بإرادة الدّنيا وحبّها، ما أضعفهم عن الثّبات على الحقّ. الآن هم حين يحسبونها: "إذا كنت سأثبت على هذا الحقّ؛ فسأخسر المكانة الّتي أنا فيها؛ سأخسر الفراش الوثير، والطّعام الجيّد، والمكانة الاجتماعيّة، وسأضطرّ إلى أن أترك هذا كلّه وأهرب"، فهذا كان موقفهم؛ أنّهم لابدّ أن يتركوا هذا كلّه ويهربون. الّذي تركوه هذا، كان لأجل أنّ قلبهم مربوط قد ربط الله -عزّ وجلّ- عليهم لِصدْقهم في إرادة الحقّ؛ الرّبط هذا، وقوّة القلب، جعل الأولويّات مقدَّمَة والثّانويّات متأخِّرة، عرفوا كيف يختارون طريقهم، لكن الّذي في قلبه ضعف، يقول: "لكن أنا لا أعرف أنام في أيّ مكان ما أقدر أفعل كذا" لذلك أنت اسألي جماعة من النّاس، كلّ سنة يتقدّمون في العمر وما حجّوا فريضتهم بعد، وكلّ شيء سهل عليهم -وهنا نتكلّم عن العالم الإسلامي بطوله وعرضه- كم من النّاس ما حجّوا فريضتهم مع أنّهم متمكّنون من ذلك في أحسن حالتهم

اسأليهم: لماذا؟ من ضعف القلب يقولون لك: "هل أترك أهلي، ومالي، وفراشي، وأغراضي، من أجل ماذا؟ ما هو الشّيء الّذي سأستفيد منه؟" هذا ركن من أركان الإسلام، يقول فيه عمر -رضي الله عنه- لـمّا أرسل إلى البلدان في التّحذير من ترك الحجّ: «مَنْ لَمْ يَمْنَعْهُ عَنِ الْحَجِّ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ، أَوْ مَرَضٌ حَابِسٌ فَمَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ، فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا»[23]، يعني: الّذي ترك الحجّ وهو قادر عليه «فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا»، لماذا يتركه مع قدرته على ذلك؟ طبعًا كلّما كان الإنسان أقرب إلى المكان ويترك، كانت مصيبته أكبر والله يستر على المسلمين ففي ذاكرة كلّ واحدة منّا أشخاص عندهم قدرة على الحجّ وقد تركوا الحجّ

ما السّبب؟ عندهم أولويّات دنيويّة مقدّمة على دينهم

والسّبب الرّئيس: ضعف القلب. لا يستطيعون أن يأخذوا قرارًا يقدّمون فيه دينهم، ويضحّون بشيء من الدّنيا، ولا النّزول عن مستواهم أبدًا

---

[23]() أخرجه الدارمي (1792).

فلذلك غالبهم أصلًا ما يفكّر في فكرة الحجّ هذه أبًدا الحجّ نموذج للهجرة في سبيل الله، نموذج يشترك فيه كلّ الحجّاج أن يتركوا ديارهم ويخرجوا لإرادة وجه الله، لكن ما يفعل ذلك **والسّبب**: ضعف القلب.

فما هو ضعف القلب الآن بعد هذا كلّه؟ الآن رأينا قوّة القلب بكونها منقبة، كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- أثنى على هؤلاء الفتية بكونهم كانت قلوبهم قويّة؛ حتّى أنّهم لـمّا تبيّن لهم الحقّ واجهوا الباطل وضحّوا من أجل الحقّ، وترتّبت عندهم الأولويّات كما ينبغي.

الآن تعالي إلى أيّ موقف يعيشه النّاس، وانظري: كيف هو ضعف القلب؟

دعنا نأخذ في الموقف التّعليمي الآن: سلسلة من الأخطاء، مبدؤها: أنّ التّعليم من أجل سوق العمل النّاس يتعلّمون من أجل سوق العمل لأجل أن يجدوا لهم رزقًا من هنا قد بدأ الخطأ

من أجل أن يجد رزقًا؛ لابدّ أن يدرّس ابنه، فلذة كبده، وهذا الّذي قال عنه النبيّ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ

يُمَجِّسَانِهِ»[24]، يضع فلذة كبده في مكان يعرف أنّهم «يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ» وما يبقيانه على فطرته يضحّي بهذا من أجل ماذا؟ يضعهم في هذه المصيبة من أجل ماذا؟ يقول لك: "غيره ليس له مستقبل كيف يكبر ويكون كذا" وكلّ هذا من ضعف القلب ولأجل هذا الّذي في قلوبهم فإنّهم يجازون بمثل ما في قلوبهم وما يجدون لهم عملًا وممّا يزيد البلاء على النّاس أنّ الأمور تبقى كما يحسبونها في عقولهم والّذي يكون مؤمنًا، وتقيًا، وعارفًا بأنّ ربّنا رزّاق، ويقدّم الأولويّات الصّحيحة؛ يُرزق من حيث لا يحتسب.

وقد قال النّاس قديمًا وحديثًا، في قصائد، وفي كلام، وفي حكم، أنّه كم من ذكيّ لم ينفعه ذكاؤه وكم من غبيّ قليل الحيلة من الأثرياء وأنتنّ انظرن الآن: أصحاب الشّهادات، وانظرن: غيرهم ممّن ليس معهم شهادات، وانظرن إلى الواقع: يعني: نحن نتكلّم على الأقلّ على تجّار مدينة جدّة؛ غالب تجّار مدينة جدّة الكبار من الممكن في الأصل أنّهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة فليس هذا الّذي سيأتي لك بالرّزق، ولا هذا التّرتيب.

---

[24]() أخرجه البخاري (1304).

طبعًا هنا تقولون: "والأسباب؟" **اسمعي**: خذي الأسباب الّتي لا تفسد عليك دينك، لا تتكلّمي عن الأسباب الّتي تفسد الدّين، كيف تطلبين ما عند الله بمعصية الله؟ وليس كما يقولون: "نحن سنعلّمه الدّين" طبعًا هذا الكلام كلّه أنتنّ تعرفن نهايته ماذا تكون وبعد ذلك النّاس يشتكون: "الأبناء شكّوا، الأبناء وقعوا في الإلحاد، الأبناء تركوا صلاتهم، الأبناء ما يستجيبون في الصّيام" من زرع هذا؟ الّذي زرع سيحصد، الزّارع سيحصد، وكلّ هذا مبنيّ على قضيّة واحدة: ضعف القلب. يشعر بأنّه: "لو فعلت هكذا سأغامر؛ لو ما أدخلته كذا وكذا وعلّمته وفعلت كذا" المغامرة أنّك تدخلينه مثل هذا المغامرة أنّك تقدّمين الدّنيا على الآخرة وغدًا تنقلب الأمور وأنتنّ تعرفن كيف تنقلب الأمور، ويصير السّبب الّذي من أجله أدخلته أصلًا صار سببًا باطلًا

وهذا أحسن مثال فيه -الجماعة اللاّتي يتذكّرن- لـمّا جاء (البيجر) هناك جماعة كبيرة لـمّا دخلت في هذه التّجارة ظنّت بأنّ هذه هي التّجارة وليس هناك تجارة بعدها وبعد ذلك خرجوا خسرانين مائة بالمائة أغرقوا أنفسهم في هذه التّجارة، وما بقي هو وقتًا طويلًا وزال ثمّ بعد ذلك لـمّا طلعت أوّل

شركة في شركات الجوّال، ها هي في النهاية الآن أفلست وطلع الّذي بعدها.

من قال لك إنّ الميزان واحد؟ ومن قال لك إنّ الّذي تفكّرين فيه في الأرزاق سيبقى واحدًا؟ اليوم أنت تعرفين أنّ هناك أمورًا ما لها قيمة أصبحت سببًا في أرزاق النّاس ما لها قيمة ما تمرّ حتّى في خاطرك أنّ هذا الشّيء سيكون له قيمة في يوم من الأيّام وصار سببًا لرزق بعض النّاس فالرّزق بيد الرّزّاق، **لكن المهمّ**: هذا الضّعف لا يكون في قلوبنا. **وعلى هذا قيسي الأمور**: أنّ النّاس يقدّمون أوّلويات باطلة بسبب ضعف قلوبهم، وهذا الضّعف يكون بسبب ضعف الإيمان.

التّعليق على الدّليل الرّابع موطن سورة العنكبوت (10)

والدّليل الثّاني موطن سورة العنكبوت (1_2)

في السّبع أو العشر دقائق الباقية، سأشرح الآية الأخيرة الّتي قبل الحديث: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)، هذا مثال واضح جدًّا في ضعف القلب. الإنسان حين يستقيم لابدّ أن يأتي أحد يُسَلَّط عليه فيؤذيه، وقد ذكر بعض السّلف أنّ المؤمن لو كان في

البحر على خشبة وحده، لسُلِّط عليه من يُؤذيه فلابدّ أنّ أحدًا سيؤذيه لماذا؟ لأنّ هذه سنّة الله.

الآن أنت تلتزمين حجابك، والنّاس حولك بدؤوا يتفلّتون. تذهبين إلى مكان وكلّما قمت أو قعدت أنت وأختك مثلًا، أو زميلتك الّتي أصغر منك. هي حجابها ضعيف، وأنت حجابك -الحمد لله- كامل. كلّما قمت أو قعدت، يقولون لك: "يا خالة يا خالة"، بينما هي لها التّقدير والاحترام فقد تذهبين إلى البيت وأنت تقولين: "والله ما يقولون لي أنا يا خالة أنا يقولون لي يا خالة" فترى أنّ هذه كبيرة من الكبائر وممكن أن تأتيها الخواطر أنّه: "هذا يعني أنّي مشوّهة؟ ويعني أنّ ليس لي شكل يسمح" وهنا أنا أتكلّم عن حالات حقيقيّة، وصلت إلى هذه النّتيجة أنّه لأجل ألّا يُقال لها كلمة مثل هذه -خاصّة وأنّها في المنطقة الحسّاسة- فلا تريد أن تصل أن يقول لها أحد كلامًا مثل هذا، حتّى أنّها من الممكن أن تترك أو ممكن أن تلتفّ وتلتفّ تريد منك أن تقولي لها إنّ هناك نصّا يسمح لها بذلك وهذا ما هو إلّا من ضعف القلب **وعلى ذلك قيسي**: أنّه يكون كلّ شيء متوفرًّا لأن تكوني مستقيمة، لكن لا تريدين أن يقول عليك أحدهم كذا أو كذا أين أنت من النّاس الّذين كانوا يُنشرون بالمناشير لأجل أنّهم مستقيمون؟ أين الفتية

أصحاب الكهف الّذين هربوا بدينهم من أجل أن يبقوا فقط على دينهم؟ أين أنت وأين هؤلاء؟ لكن هذا كلّه من ضعف القلب يعني: نحن لا نقدر أن نقول أنّنا نُؤْذَى في ديننا نكذب على ربّنا لو قلنا: "نُؤْذَى في ديننا" فنحن -الحمد لله، الله يزيدنا، ويبارك، وييسّر، ويحفظ علينا ديننا، ويكون القادم من أجيالنا خير ممّن مضى من الأجيال- لا نقدر أن نقول لربّنا: "نحن أُوذِينَا في ديننا" ومع ذلك أنت تَرَين أنّهم لا يريدون سماع كلمة أو كلمتين تأتي تقول لك: "لا أريد أن أصير هكذا فإنّهم سيقولون عنّي مطوّعة ويقولون عنّي كذا من الكلمات" هذا حتّى ما وصل حدّ الإيذاء، لكن هذا الموجود، وهذا إشارة إلى ضعف القلب؛ ضعيف جدًّا جبان، حسّاس، لا يريد أن يقولّ أحد له أيّ كلّمة.

لو نصحت مثلًا أحدهم، وتلطّفت معه وكلّمته فقام بمهاجمتك هذا الشخص من الطّبيعي أن يهاجمك النّاس، من الطّبيعي أن يحصل من النّاس مثل هذا، اصبري وانظري: إذا كان عندك خلل في نيّتك أصلحيها وإذا كان عندك خلل في أسلوبك أصلحيه وإذا لم يكن في هذا كلّه خلل، لا تجعلي (فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)، لا تجعلي أولويّاتك نفسك، الدّنيا، مكانتك، فهنا العلّة ضعف القلب يأتي من أنّ الإنسان لا يريد

أن يمسّه شخص بأذى، ولا أحد يتكلّم عنه، ولا أحد ينقص عليه في حاجاته الأساسيّة، لا يريد أيّ سبب من أسباب الانزعاج، يريد أن يكون أحسن ما يكون، وأدين ما يكون، وأخلص ما يكون، وأعلى ما يكون كلّ هذا مع بعضه؟ طبعًا لا يصلح أن يكون كلّ هذا مع بعضه.

ولذا انظري للآية الثّانية في المتن: (الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)، لا، مستحيل أبدًا وإنّما تُفتن في نفسك الّتي بين جنبيك، تُفتن في النّاس المحيطين بك، تُفتن في أعزّ النّاس، أحيانا -الله يعيذنا ويحفظنا- يكون الإنسان هذا أمامه قدوات من المستقيمين، عرف الحقّ عن طريقهم -الله يحفظنا جميعًا- ثمّ تسقط القدوات في مواقف وتترك الدّين مصيبة عظيمة طبعًا هذه على الإنسان لكن يرجع الإنسان يقول: "هل أنا أحسب أنّني أقول: آمنت، وأترك من الفتنة؟ لا ستأتيني فتنة" ومن الفتن في مثل هذه المواقف أن يكون هناك قدوات، أن يكون هناك رموز، فكثيرًا ما تحصل هذه المواقف كثيرًا حين يُفتن النّاس برموز يدخلون في الفتن ويتركون الدّين، مثلًا: تكون هناك مجموعة شابّات تحجّبن لأنّ فلانة المشهورة قد تحجّبت، وبعد فترة قرّرت أن لا تتحجّب، فنزلت كالمصيبة على

هؤلاء لكن أنت ما استقمت يا ابنتي لأنّ هذه استقامت فهذه مجرّد دالّة على الطّريق، وأنت قد عرفت الطّريق، ولا يمكن أن تقولي: (ءَامَنَّا)، وأنت لا تُفْتَنين.

فالمقصد: أنّ ضعف القلب حاصل من جهة ضعف الإيمان، **وهو دائر حول أمر أساسي، وهو:** أنّ الإنسان يحبّ الدّنيا ويتعلّق بها، وتكون عنده هذه الرّغبة فيها هي المقدّمة، مع تطلّعه لشيء من الآخرة يعني: أيّ الرّغبتين مقدّمة عنده؟ الدّنيا. وأين الآخرة؟ تمرّ على خاطره لكنّها ليست هي المقدّمة، وليس هناك قوّة إيمان فيها بحيث أنّ هذه قوّة الإيمان تجعل كلّ شأن يتّصل بالآخرة هو المقدّم، وكلّ شأن يتّصل بالدّنيا هو المؤخّر؛ فضعف القلب من هذه الجهة. ضعف القلب يسبّب الجبن، الخور، الخوف، لا يكون شجاعًا **هنا يُقصد:** بالشّجاعة، الشّجاعة الإيمانيّة: "توكّلنا على الله، اعتمدنا على الله."، وكلّما زاد الإيمان كلّما عرف الإنسان أنّه لا يمكن أن يتاجر مع الله ويخسر لا يمكن أن يتاجر مع الله ويخسر مهما ظهرت ظواهر خلاف هذا الشّأن، وكأنّه قد خسر. ليس هناك مؤمنًا متّقيًا يخرج خسرانًا أبدًا. نسأل الله أن يجعلنا من الرّابحات في الدّنيا والآخرة، ويصلحنا، ويصلح ذرّيّاتنا، اللّهمّ آمين.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الثّاني

20 المحرّم 1441

تابع باب ذكر ضعف القلب

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكّلنا على الله، نبدأ في هذه السّاعة المباركة بإكمال ما بدأنا في نقاشه من موضوع الكبائر، وكنّا وصلنا إلى كبيرة مهمّة، اسمها: **(كبيرة ضعف القلب)**. وهذه كانت كبيرة عجيبة أتت هذه الكبيرة بعد الكبيرة السّابقة، الّتي **هي: (كبيرة قسوة القلب)**.

دعنا نرجع أوّلًا نبدأ من الكبيرة السّابقة: **كبيرة قسوة القلب**، نقرأها، ونراجعها، ثمّ ندخل على: **كبيرة ضعف القلب**.

أوّلا: بيان معنى (قسوة القلب)

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب الكبائر: **"باب ذكر قسوة القلب**، وقول الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) الآية[25]، وقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ)[26]، وقوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) الآية[27].

عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «ارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم، ويلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمصرين الّذينَ يصرونَ على مَا فَعلوا وهُمْ يعلمون»، رواه أحمد[28].

وللترمذي عنه[29] مرفوعًا: «لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكر الله فإنَّ كثرةَ الكَلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلبِ وإنَّ أبعدَ القلوبِ من الله القَلْبُ القَاسي»[30].

---

[25]() المائدة: ١٣.
[26]() الزمر: ٢٣.
[27]() الحديد: ١٦.
[28]() أخرجه أحمد في المسند (219).
[29]() بل عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.
[30]() أخرجه الترمذي (2411).

ولهما عن جرير -رضى الله عنه- مرفوعًا: «من لا يرحمِ الناس لاَ يرحمهُ الله» أخرجاه[31]."

بسم الله، الآن هذه النّصوص وصفت هذه الكبيرة العظيمة، وهي: **كبيرة قسوة القلب.**

لأجل أن نراجعها، نقول:

1. معناها.
2. ضدّها.
3. أسبابها.
4. وأسباب زوالها.

هذه العناوين على: **كبيرة قسوة القلب**، أمامها سنضع:

5. كلامًا عن **ضعف القلب**.

ما معنى **قسوة القلب**؟ هذا تفهمينه بسهولة من المثل؛ نحن الآن حين نأتي إلى وصف الأبدان -بدن الإنسان- ونقول: ما دام أنّ البدن حيّ؛ **إذًا:** هو ليّن. أيّ جزء في البدن حيّ، إذا مسسته تجدينه ليّنًا، لكن لو حصل أن يموت جزء من بدن الإنسان -مثل الّذين يصابون بالشّلل، الله يحفظنا- هؤلاء،

---

[31]() أخرجه البخاري في الأدب (6013).

الجزء الّذي مات في أبدانهم، يعني: الّذي ما يصله الدّم، غالبا ما يكون هذا الجزء قاسيًا، بسبب عدم وصول الحياة إليه، يعني: عدم وصول الدّماء إليه.

هذا القلب الحيُّ، حيٌّ بماذا؟ القلب الحيّ حيّ بذكر الله. وحين تقولين: "ذكر الله"، يعني: أنت تتكلّمين عن أمر واسع جدًّا؛ فإنّ ذكر الله، يعني: ذكر لقاء الله، الصّلاة، التّقرّب إليه بالصّيام، كلّ هذا الّذي يعيشه الإنسان المؤمن، يُعتبر من ذكر الله؛ على قدر ما يورد على قلبه من أعمال صالحة يقوم بها ببدنه، ويبقى قلبه حاضرًا، كيف يبقى قلبه ممدودًا بالصّحّة؟ اعتبرن أنّ هذا الذّكر كالدّماء في البدن، إذا وقفت صلّيت؛ على قدر ما تستحضرين ذكر الله في الصّلاة نفسها. ماذا يعني (تستحضرين ذكر الله)؟ يعني: أن تكوني حاضرة، (ذاكرة) أنّك واقفة بين يدي الله. (ذاكرة) جاءت من (ذكر الله).

(ذاكرة) أنّك واقفة بين يدي الله، على قدر ما يكون هذا مستحضرًا، على قدر ما يُدفع للقلب روح، كأنّ هذه **قوّة القلب** الآن، وعلى قدر ما يكون هناك استحضار لذكر الله؛ يُدفع للبدن.

حين يكون القلب ضعيفًا في دفعه، ما يصل إلى أطراف البدن؛ لذلك -الله يحفظ الجميع- أصحاب مرضى السّكّر يمكن أن يكون عندهم ما يسمّونه بالقدم السّكّريّة. هذه القدم السّكّريّة مهما يحصل فيها، فقد يُجرح، وقد يسيل منها دماء، وهو لا يحسّ بها؛ بينما بقيّة الأعضاء يشعر بها، لماذا؟ لأنّ هذا عضو طرفي أخير، القلب بسبب السّكّر ليس بالقوّة الكافية الّتي يستطيع بها أن يدفع الدّماء إلى أطرافه. **تصوّري الآن**: من **القسوة** إلى **ضعف القلب**؛ لأجل أن ننتقل من **مفهوم قسوة القلب**، إلى **مفهوم ضعف القلب**. القاسي، هذا أصلا لا ينبض ولا يدفع لكن الضّعيف، فيه قليل من القوّة، لكنّها ضعيفة ما تصل إلى الأطراف.

دعنا في المفهوم الأساسي: القلب يبقى حيًّا إذا ذكر الله، يضعف، ثمّ يقسو، إذا ضعف ذكر الله. إن تريدي أن تبيّني لأحد معنى (ذكر الله)، ستقولين: "ذكر الله"، **معناه:** أن أبقى ذاكرة لله، تذكرين الله مثلًا:

✔ في صلاتك على قدر ما هناك شعور أنّك بين يدي الله.

✔ بعد الصّلاة تقولين أذكارك على قدر ما هناك شعور بهذا، وبهذه الطّريقة.

✔ تأتين في مواقف يحصل خوف من غير الله، القلب الحيّ أوّل ما يهاجمه الخوف من غير الله، فهو بنفسه يهاجم الخوف من غير الله، ويقول لنفسه: "اذكري الله، توكّلي على الله، قولي مثلما قال إبراهيم -عليه السّلام- لـمّا قال له جبريل وهو يُلْقَى في النّار: "ألك حاجة؟" قال: "أمّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فحسبي الله"، يعني: كافيني الله.

فالقلب القويّ كلّما واجهته أمور يمكن للقلب أن يخاف منها، أو يحمل هَمَّ أن تهاجمه هذه الأمور؛ فإنّ القلب القويّ يهجم عليها.

وهذه المعلومة مهمّة جدًّا خصوصًا لمرض الوسواس؛ لأنّ مرض الوسواس الّذي يسمّونه الوسواس القهري، هو عبارة عن هجوم أفكار تسيطر على عقل الإنسان العلاج ما هو؟

✔ قوّي قلبك، واهجمي على الفكرة الوسواسيّة بفكرة إيمانيّة -ونحن ما نقول: فكرة إيمانيّة؛ وإنّما نقول: عقيدة إيمانيّة- قد يخوّفك من المرض، يخوّفك من الموت، يخوّفك

على أبنائك، يخوّفك من كذا، مهما يكن، فالقائمة طويلة للشّيطان، الّذي يبحث عن نقطة ضعفك ويبقى يخوّفك عليها هذه القائمة الطّويلة، أنت قابليها بقائمة تفصيليّة دقيقة عن معرفة الله، وعن عظمة الله، وعن قدرة الله، وعن ملك الله، وعن أوصاف الله. يهاجمك من هنا، أنت تهاجمينه.

ماذا نحتاج من أجل أن نُدافع "ضعف القلب"؟

أنت تصوّري أن:

القلب يكون حيّا، ثم يضعف، وبعد ذلك يقسو، تتركه فيموت يعني: **"ضعف القلب"** أقلّ من **"قسوة القلب"**.

فإذًا دعنا: في **"ضعف القلب"** -فهذا رزقنا-

الآن تصوّرن: **"ضعف القلب"**، هذا الشّيء الخطير جدًّا؛ لأنّ صاحب القلب الضّعيف فريسة سهلة للشّيطان، مهما أتته أمور مثبّتات؛ بسبب ضعف قلبه فإنّه ما يستفيد منها مثلًا: يُقال له: "قبل أن تنام اذكر الله حتّى لا يأتيك أيّ شيء من هذه، **مثلا:** الوساوس، أو الأشياء الّتي تزعجك في نومك"، يذكر الله لكن ليس بالقوّة الكافية الّتي يصبح بها الذّكر حِصْنًا له **فمثلًا:** هو يكون في الأصل خائفًا، ضعيفًا في يقينه.

إذًا الآن: حين نقول: **"قوّة القلب"**، و **"ضعف القلب"**، ماذا يُقْصَد؟

⇐ **قوّة القلب**، في (اليقين).

⇐ **ضعف القلب**، في ماذا؟ في (اليقين).

ما هو الّذي يعتبره الشّيخ كبيرة؟ اقرأن عنوان هذه الكبيرة الّتي نحن فيها، بعد **قسوة القلب**:

ضعف القلب، يعني: هو اعتبر **ضعف القلب**، في العقيدة، كبيرة يرتكبها الإنسان، لماذا هو كبيرة؟ لأنّه فرّط في تغذية القلب بما يقوّيه.

إذًا: القلب له أوصاف:

قوّة، ضعف، قسوة، موت، على حسب التّغذية؛ إذا قويت التّغذية قوي القلب، وإذا ضعفت التّغذية ضعف القلب.

نحن بماذا نقوّيه؟

⇐ **بالكلمة العامّة**: (ذكر الله).

⇐ **بالكلام التّفصيلي:** بالعقائد المُثبِّتَة، بالعقائد الّتي نتيجتها أنّها مُثَبِّتَة، ولذلك عقيدة الإنسان يعقد عليها قلبه.

(يعقد عليها قلبه)، لو تصورّتن مثلا: المرساة في السّفينة، مثلًا: الحياكة، حتّى نسيج الصّوف، هذه كلّها عبارة عن مجموعة عُقَد، وبعد ذلك يُصبح ملبسًا، أو ترسو به السّفينة مثلًا، **فمعناها:** أنت تحتاجين أن تعقدي قلبك على الحقائق، يعني: تأتين هكذا بالحقيقة وكأنّك تعقدينها على القلب؛ بحيث أنّ هذا يكون ربطًا للقلب.

ولذلك لمّا تدارسنا الأسبوع الماضي: آية سورة الكهف: (وَرَبَطنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم)[32]، يعني: هم ابتدأوا بربط العقائد في قلوبهم، وتثبيتها داخل قلوبهم، فكان الجزاء أن ربط الله على قلوبهم، يعني: (وَرَبَطنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم): بمثابة الجزاء لربطهم هم للعقائد الصّحيحة في قلوبهم.

إذًا: ماذا نحتاج من أجل أن نُدافع **ضعف القلب؟**

نحتاج إلى عقائد صحيحة، نعقد عليها قلوبنا. وسنعدّ واحد، اثنان، ثلاثة، في أيّ شيء هذه العقائد؟

ما هي أهمّ العقائد؟

---

[32]() الكهف: ١٤.

*ابقين مركّزات في هذه النّقطة: لأنّ هذه مسؤوليّة فرديّة، يعني: **في الأصل:** أنّ المجتمع، التّربية، والتّعليم، من المفروض أن يفعلوها، لكن إذا تخلّى الجميع؛ فإنّه لابدّ أنّك أنت بنفسك تفعلينها لنفسك؛ لأنّها تصبح مسؤوليّتك الفرديّة؛ لأنّك أنت الّتي ستواجهين المواقف والأحداث، فإذا كان قلبك ضعيفًا فإنّك في أيّ موقف ستسقطين وتموتين. وفي أيّ موقف ستسقط قيمك وستتخلّين عنها. فهذه هي النّتيجة الخطيرة. لكن دعنا من النّتائج الآن، ودعنا نقول: ما هي الطّريقة لعقد العقائد في قلب الإنسان؟ أو ما هي أهمّ العقائد أوّلًا؟ وما هي الطّريقة؟*

أوّل وأهمّ العقائد: الّتي يجب عليك أن تعتقديها، وتهتمّي بها، **هي:** عقيدتك في ربّ العالمين في كماله وجلاله وعظمته، هذا إطلاقًا، يعني: أوّل عقيدة، وأهمّ عقيدة، تعقدين عليها القلب، وتسعين لإيجادها في قلبك، **هي:** (اليقين بكمال الله)، قبل أن نتكلّم أنّه يجب شكر الله؛ لأنّ هذه هي العقائد التّالية، **لكن العقيدة الأولى:** اليقين بكماله، وجلاله، وعظمته، سبحانه وتعالى.

من الضّروري تصوّر أهمّيّة هذه العقيدة: أنت ستبقين ضعيفة لو ما آمنت أنّ هناك ركنًا شديدًا لك، إذا اتّكأت عليه حُلّت كلّ المشاكل؛ ولذا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد كان يذكّر أصحابه الكرام في كلّ موقف بعظمة الله، بجلال الله، بقدرة الله؛ حتّى أنّهم لـمّا كانوا في الغزوات والحروب، يعني: الأماكن الّتي يحصل فيها شدّة الاختبار؛ ما كان يذكّرهم بالقوّة العسكريّة. ما كان يذكّرهم بالقوّة البدنيّة. وإنّما كان يذكّرهم بعظمة الله، بجلال الله، بقدرة الله.

ولذلك سورة آل عمران، وسورة النّساء، وسورة الأنفال، وسورة التّوبة، أحسن مثال تظهر لك هذه المعاني فيها، وكيف أنّها كانت تتنزّل الآيات: (وَمَا رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ)[33]، ومثلها الدّالّة على عظمة الله، وجلال الله، وقدرة الله.

فأوّل ما يقوّي قلب الإنسان، ويبعده عن الضّعف: (معرفة الله)، معرفة جلاله وعظمته سبحانه وتعالى؛ كلّما حصل نقص في معرفة كماله، وجلاله، وعظمته، كلّما حصل ضعف في القلب **إذًا:** هذا الأمر الأوّل الّذي يجب أن نعقد عليه قلوبنا.

---

[33]() الأنفال: ١٧.

يأتي الأمر الثّاني المهمّ أيضًا: يجب أن نعقد قلوبنا على لقاء الله؛ هذه قضيّة مهمّة جدًّا؛ لأنّك حين تأتي إلى قوله تعالى: (الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ)[34]، ومثلها في ما ذكر الشّيخ -رحمه الله-؛ ستظهر آية يجب فيها أن تفكّرن في لقاء الله. فنحن الآن في هذه المسألة الثّانية الّتي نعقد عليها قلوبنا، وكنّا قد انتهينا من مسألة معرفة كماله وجلاله؛ فهذه هي الأولى، والثّانية: لقاء الله سبحانه وتعالى.

الشّيخ ذكر آية تدلّ على ذلك:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)[35]. هذا شخص لا يفكّر في لقاء الله، قلبه ضعيف، إذا فُتِنَ من النّاس جعل (فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) بحيث أنّه ما كان يهمّه في لحظتها إلّا التّخلّص من النّاس. ما كان عنده قوّة قلب للتّفكير في لقاء الله.

إذًا: من المسائل الّتي لابدّ أن نعقد قلوبنا عليها: مسألة لقاء الله، فإذا ترك الإنسان شيئًا لله، كان متيقّنًا بأنّ الله سيعوّضه. من أجل أن تصير عندك قوّة في قلبك حتّى تتركي، ستقولين:

---

[34] () العنكبوت: ١_٢.
[35] () العنكبوت: ١٠.

"سيعوّضني الله" يأتي أحد يقول: "فلانة عاشت، وبذلت لبيتها وزوجها، وفي النّهاية لم يعبّرها أحد ولا فعل لها ولا ترك لها" **هي تفهم**: أنّ هذه الدّنيا جزء من الحقيقة، ومازال هناك جزء آخر من الحقيقة؛ لو آمنت بلقاء الله ستتمثّل أمام عينيها سورة البروج، ففي سورة البروج هؤلاء قوم آمنوا بلقاء الله، أُلْقُوا في النّار، وانتهت الدّنيا **وانظري في الحديث**: كيف أنّ الأمّ تردّدت في إلقاء نفسها في النّار من أجل رضيعها، فأنطقه الله ففي الحديث أنّه أنطقه الله من أجل أن يُطَمْئِنَ أمّه ويثبّتها: "أنّه لا تخافي، ألقي نفسك في النّار، هذه النّار ستخرجين منها وتدخلين إلى جنّة الله".

وفي حديث الدّجّال أنّ «مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»[36]، من دخل ناره دخل جنّة الله، يعني: أوّل ما يدخل ناره، يخرج منها إلى جنّة الله، **فمعنى ذلك:** أنّه ما الّذي يقوّي القلب؟ ويجعله شجاعًا، ويمكن أن يتنازل، وممكن أن يترك بعض الحقوق، وممكن أن يعطي وما يخاف الفقر؛ ألم يأتِ الرّجل الأعرابي لقومه وقال: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ»[37]، لا يخشى الفقر

---

[36] () أخرجه مسلم (5355).

[37] () أخرجه مسلم (4399).

نعم، صلّى الله عليه وسلّم. من أين تأتي هذه الشّجاعة القلبيّة؟ من اليقين بلقاء الله، أنّك هنا تفعلين، وغدًا ستجدينه هناك، لكن حين نكون طيلة الوقت نفكّر: "ماذا سنحصّل هنا؟ متى سنحصّل؟ أنا الآن أنفق، متى سأحصّل ما سأنفقه؟" فتصيرين مشغولة بالدّنيا، فيصير عندك ضعف، تخافين لو أنّك أنفقت لا يُعوّض عليك يعني: كأنّك تجرّبين مع ربّنا **وهذا من أسباب ضعف القلب**: أنّه تأتيه الفرصة فما يبذل فيها، والدّنيا كلّها فرص، مجرّد فرص إذا اغتنمتها ارتفعت منازل، وإذا لم تغتنميها فهذا شأنك.

ولذا لا تنسي: يأتي اثنان من أطفال الصّحابة -الآن هم يسمّونهم أطفالًا لكن هم ليسوا بأطفال، فقد بدأوا من القرب في سنّ البلوغ- وصلت بهم **قوّة القلب**، والشّجاعة الإيمانيّة، أنّهم يقفون على أطراف أصابعهم هكذا ليصبحوا أطول؛ من أجل أن يأخذهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. هل يأخذهم من أجل أن يتفسّح بهم؟

فالآن هم يفعلون هكذا من أجل أن تذهبي بهم إلى هنا أو إلى هنا بينما هؤلاء فعلوا هذا من قوّة قلبهم من أجل أن يأخذهم للقتال في سبيل الله **فلا تنسي هذا الأمر**: لقاء الله.

اذكري في هذا: الصّحابي الّذي شمّ رائحة الجنّة على طرف المعركة، في يده تمرات يتقوّى بها، ألقاها ودخل المعركة، هذه قوّة في القلب أتت من اليقين بلقاء الله.

إذًا: ما هو المطلوب منّا؟ أنتنّ لا تتصوّرن: أنّ هذه الأشياء قصص نسمعها ثمّ يذهب النّاس إنّما هناك طريق تصل إليها. **فنحن الآن نتكلّم عن:** ما هي الأشياء الّتي لابدّ أن أغذّي بها نفسي؟ وبعد ذلك سنجد أنّ هذه التّغذية يسيرة، فقط أنّك تضعين الأمر في ذهنك.

صارا أمران الآن:

الأمر الأوّل: أغذّي نفسي بماذا؟ بكمال الله، بعظمة الله، بجلال الله، بمعرفة الله.

الأمر الثّاني: أغذّي نفسي بأيّ شيء؟ أغذّي نفسي بلقاء الله، دائمًا أذكّر نفسي، يعني: هذه تحتاج لها إلى تغذية دائمة، هذه العقائد أهمّ من الطّعام والشّراب الّذي نأكله كلّ اليوم، يعني: كلّ يوم لابدّ أن نأخذ جرعة مغذّيّة قويّة من أجل أن نبقى أقوياء.

طيلة الوقت النّاس يأكلون، ويقولون لك: "هذا أكل صحّي" -وكان هذا الكلام الّذي أزعجونا به- أكل صحّي -ما نختلف-

من أجل أن تقوى أبداننا، **لكن**: من أجل ماذا؟ من أجل أن نطيع ربّنا. **أهمّ من ذلك**: هناك طعام وغذاء صحّيّ للقلب، هل تريدين أن يكون البدن قويًّا؟ أهمّ منه أن يكون القلب قويًّا.

وإنّه حتّى في الدّنيا؛ حين يلعب ألعاب قوّة، ويفعل هذا كلّه؛ فلو كان قلبه ضعيفًا؟ (ضعيف) **بمعني**: جبان، بعد هذه القوّة كلّها أكيد أنّه سيختبئ يعني: بدون القلب القويّ حتّى البدن ما ينفع **أقصد**: القويّ حتّى في شؤون الدّنيا.

في نهاية الأمر: لا تظنّي أنّ هذه التّغذية الّتي ستتغذّينها هكذا مرّة جرعة من السّنة الماضية، أو الّتي قبلها، يأتيك أحدهم يقول: "هيّا تعال اسمع كلام الله، تعال ادرس البقرة وآل عمران"، فيقول: "لا فأنا قد درستها وحفظتها" هذا من كم سنة؟، يقول لك: "عام أربع مائة وألف" فيأتيك بأرقام من هنا وهناك لماذا؟ هل تتصوّر أنّ هذا الغذاء السّابق يبقى؟ فأنا لو قلت لك اليوم لا تتغذّى لأنّك قد تغذّيت بالأمس ماذا ستفعل بي؟ فتجعل أنت غذاؤك الّذي جاء من سنين إلى اليوم باقيًا؟ قال تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[38]؛ بل أُرسل الرّسول وأُنزل الكتاب، وشُرِعَ لنا قراءة الكتاب المتتالية؛

---

[38]() الذاريات: ٥٥.

وشهرًا بعد شهرٍ نختم الكتاب؛ من أجل أن تبقى الذّكرى، فيبقى الغذاء، فتبقى **القوّة القلبيّة**؛ ترك هذا كلّه **ضعف قلبيّ**.

من الأشياء الّتي يجب أن نغذّي قلوبنا بها: وتبقى ظاهرة في الذّهن دائما: حقيقة الدّنيا، من الضّروري أن تذكّري نفسك دائمًا: ما هي هذه الدّنيا؟

- ⇐ كيف أنّها دار اختبار.
- ⇐ كيف أنّه لابدّ من الابتلاء.
- ⇐ كيف أنّها ما تساوي عند الله جناح بعوضة.
- ⇐ كيف أنّ النّاس الّذين فيها ابتلاء علينا.
- ⇐ كيف أنّها باب للارتفاع عند الله، أو -والعياذ بالله- خلاف ذلك.

لابدّ دائما أن نذكّر أنفسنا: بحقيقة الدّنيا -وقد مرّ معنا- قبل دراسة (كتاب الكبائر)، وما قبله، السّنة الّتي قبلها دراسة **(كتاب الرّقاق)**، يعني: أخذنا ثلاث سنوات ونحن ندرس **"كتاب الرّقاق"**؛ وهذا الكتاب ما يصلح هجره أبدًا، لا

تهجريه؛ **كتاب الرّقاق** من **صحيح البخاري**، اقرئيه مرّة بعد مرّة؛ حين تقرئن ستجدين كمّيّة أحاديث تكلّم بها الرّسول الكريم، والبخاري اختار أصحّ الأسانيد، فهناك مازال أضعاف هذه الأحاديث، يتكلّم فيها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن حقيقة الدّنيا، وحقيقة الآخرة، **معنى ذلك:** أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- استدام منه تنبيه الصّحابة الكرام على الآخرة وحقيقتها، وعلى الدّنيا وحقيقتها، **لماذا يكرّر عليهم كلّ هذا التّكرار؟** هذا غذاء يقوّي القلب، ويجعل الإنسان مرتفعًا عن الدّنيا، يعني: حين يأتي يجد نفسه طيلة اللّيل يتقلّب خائفًا لو أنّ غدًا أحدًا يأخذ رزقه **هيّا أُعْدُدْنَ معي الآن:** كيف أنّ هذه الثّلاثة ستقوّي قلبه، وتجعله ينام قرير العين؟ لو كان مؤمنا بكمال الله، وعظمته، وجلاله، وقدرته، وأنّه هو الرّزّاق، وأنّ ما رزق الله وقسم لأحد، لا يستطيع أحد أن ينزعه منه. ولو قال لنفسه: "هل الدّنيا هي المهمّة؟ الآخرة أهمّ، يعني هذا لو ذهب وراح، لن أموت ربّنا يعوّضني خير منه فدعني أنام أحسن قرير العين، بدلًا من أن أوتّر نفسي في شأن -أصلًا- كلّه عند الله ما يساوي جناح بعوضة فما الّذي يجعل قلبي ضعيفًا يتوتّر لهذه الدّرجة؟"، نحن نريد أن نأتي بهذه المعارف الثّلاثة، كيف توصلك إلى قوّة القلب؟

أوّلًا: تعرفين كمال الله -عزّ وجلّ-، وعظمته. ثمّ تقولين لنفسك إذا أصبحت من الغد ولم تجدي شيئًا: "أنا لن أخسر الجنّة ولا نعيمها؛ إنّما سأخسر الدّنيا" **نفترض:** إنّها الدّنيا، فالدّنيا كلّها ما تساوي عند الله جناح بعوضة؛ فحين يقول لنفسه هكذا، ينام قرير العين.

فأين يكمن ضعف القلب؟

- يكمن في عدم معرفة الله.

- وأحيانًا تكون هناك معرفة، **لكن:** عقد القلب على عظمة الله، على كمال الله، على جلال الله، أنّه الرّزّاق، أنّه الكريم، أنّه القريب، أنّه الحكيم، أنّ ما قضى كان، وما لم يقضِ لم يكن، أنّ ما قسمه للخلق سيأخذونه، وما لم يقسمه للخلق فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوك فلن ينفعوك.

كلّ هذه المعاني تهوّن عليك؛ فما يصير قلبك ضعيفًا وتخافين تخافين هنا، وتخافين هنا، وتخافين من هذا أن يفعل لك وتبقين طيلة الوقت في دوّامة الدّنيا، ويُصَابُ النّاس بالقلق، وبعد ذلك يُصَابُ النّاس بالاكتئاب، وبعد ذلك يُصَابُ النّاس بالوساوس، وبعد ذلك ما تطيب لهم الحياة، لا

يستطيعون في حياتهم أن ينفعوا أنفسهم، لا في شأن الدّنيا، ولا في شأن الآخرة، من كثرة هجوم الأمراض النّفسيّة عليهم؛ وكلّ هذا بسبب ضعف القلب.

فالآن ماذا نفعل من أجل أن تَقْوَى قلوبنا؟ أوّلًا: هناك ثلاث معارف لابدّ أن أعقد قلبي عليها:

الأمر الأوّل: معرفة الله بكماله، وجلاله وعظمته، وسلطانه، وقدرته، وما له من الأسماء الحسنى، والصّفات العُلَا.

الأمر الثّاني: معرفة لقاء الله، يعني: دائمًا تكونين ذاكرة للقاء الله؛ فكأنّه: معرفة الآخرة.

الأمر الثّالث: معرفة حقيقة الدّنيا.

بهذا يصبح القلب قويًّا، شجاعًا.

ولذا تصوّرن: خالد بن الوليد -رضي الله عنه- لـمّا مات على فراشه، قال: "فلا نامت أعين الجبناء"[39]، ماذا يريد أن يقول؟ الجبناء الّذين كانوا كلّما يقول لهم: "اخرجوا للقتال"، يقولون: "لا، فإنّنا نخاف أن نموت" قال لهم: "أنا الآن ما في بدني جزء إلّا وفيه طعنة" ومع ذلك في النّهاية مات على

---

[39]() صفة الصفوة _ خالد بن الوليد

فراشه، مكان ما كتب الله أن يموت. فما كان القتال سيأتي بحتفه، ما كان سيموت بسبب القتال؛ فإنّه كان سيموت سيموت (وَلَو كُنتُم فِي بُرُوج مُّشَيَّدَة)[40]؛ وهذا الخطاب قيل للمنافقين ضعيفيّ القلب، (لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا)[41]، فهذا هو **ضعف القلب**، أنّه يتصوّر أنّ شيئًا في الدّنيا يمنع قدر الله، فيصبح جبانًا:

- ⇐ يتصوّر أنّه لو أمسك المال سيصبح غنيًّا.
- ⇐ يتصوّر أنّه لو أنفقه سيصبح فقيرًا.
- ⇐ ولو زكّى سيصبح فقيرًا.
- ⇐ لو أحسن للنّاس سيهينونه.
- ⇐ لو أكرم ضيفه سيحصل كذا.

فهذا هو **ضعف القلب**؛ أنّه حين يأتي عند الأوامر الشّرعيّة، ويريد امتثالها؛ يظنّ أن امتثالها يسبّب له نقصًا، يسبّب له ضعفًا، يسبّب له مضرّة ما يدري أنّ منزوع البركة من المال

---

[40] () النساء: ٧٨.
[41] () آل عمران: ١٥٦.

من الممكن أن يكون له أوراق ماليّة كثيرة لكنّها في النّهاية ما تنفعه.

ومن الضّرورة جدًّا التّفكير -كما يعبّرون- بمنطقيّة: هذه الأوراق الماليّة -الله يحفظ علينا الأمن والأمان- الّتي هي ورقة لو أنّ أيّ حدث حصل، كما تحصل ويلات الحروب -الله يحفظنا ويحفظ المسلمين- تحصل ويلات الحروب فتجعل هذه الورقة الماليّة الّتي معك ما تساوي شيئًا -طبعًا بسلسلة معقّدة من الأحداث- لكنّها في النّهاية ما تساوي شيئًا.

أنا أسألك الآن: لو أنت عندك كمّيّة من الأوراق الماليّة، قبل أن تحصل الأحداث أخرجتها، وأنفقتها في سبيل الله، وبعد ذلك حصل هذا الحدث المالي. كم ستشعرين بالسّعادة أنّك -الحمد لله- في وقتها المناسب أعطيتها للنّاس. ولو بقيت؟ كم ستحصل هناك حسرة لبقائها؟ هذا **مثل** حين نطبخ ونطعم الجماعة الّذين عندنا، وبعد ذلك أقول: "هذا يجب أن أحمله للجارة"، وبعد ذلك يأتيني **ضعف القلب**، فأقول: "لكن من الممكن أنّهم في اللّيل يريدون أن يتعشّوا به ومن الممكن أن نأكله غدًا" وبعد ذلك تتركينه خارج الثّلاّجة على أساس أنّهم

يتعشّون به، ويخرجون وما يتعشّون وتأتين آخر اللّيل تجدينه قد فسد

يعني: لا أكلنا، ولا تصدّقنا به، ولا انتفعنا به عند ربّنا ما الّذي فعل ذلك؟ **ضعف القلب. ضعف القلب**؛ يُقصد به أنّه كلّما فُتح لنا باب للقُربى، سددناه بأفكارٍ. في مثل هذا الكلام، قد تأتي المنطقيّة وتقول: (لا وهكذا ونرتّب) **بمعنى:** أنّ هناك اعتراضات كثيرة على هذا الكلام في الواقع، أنّه: "لابدّ أن نفعل هكذا، يعني نحن أولى من غيرنا"

أنت لابدّ أن تعرفي من هو الله؟ سيخلف عليك، سيخلف عليك ولو بالشبّع والنّوم. فليس شرطًا أن يأتيك شيء بدلًا عنه، يعني: إذا كنتنّ أكلتنّ نهارًا -فالحمد لله- قد أشبعكنّ وفي اللّيل أحسستنّ أنّكنّ لستنّ محتاجات، يعني: كسبتنّ الأمرين: أنتنّ ما احتجتنّ، وكذلك أنفقتنّ في سبيل الله.

فأبواب الله لا تنتهي، لكن مسكين الّذي يتعامل مع الله بالقوانين الأرضيّة وهو مالك الملك -سبحانه وتعالى- يرزق الخلق من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون، أبواب الرّزق أسرار الرّبّ -سبحانه وتعالى- لا تدري متى يطرق

على بابك هذا الرّزق، لكن أنت لا تشغلي نفسك، فالّذي هو لك ستأخذينه.

المهمّ: فإنّ النّاس في معركة كبيرة، معركة كبيرة مع الأرزاق، معركة كبيرة مع الصّحّة، -وكذلك الآن قضايا أخرى- معركة كبيرة مع شخصيّاتهم وإرادة العلوّ ويريدون أن يصيروا أحسن النّاس. قد دخلوا في معارك كثيرة وكان الأولى أن يقضوا قواهم في أن تكون لهم منزلة عند ربّ العالمين.

ما هي الطّريقة لعقد العقائد في قلب الإنسان؟

هذه الآن المعارف الّتي إذا عقدت قلبك عليها، أصبح القلب قويًّا، ماذا نفعل في هذه المعارف من أجل أن تصل إلى قلوبنا، ونعقد عليها قلوبنا؟

الأمر الأوّل: طبعًا النّقطة الرّئيسية الأولى المهمّة الّتي ابتدأ بها الوحي: (اقْرَأْ)[42]، هذه النّقطة الأساسيّة، أيّ شيء تريدين أن تعقدي قلبك عليه: ابدئي بالعلم، لابدّ أن تتعلّمي. يعني: نحن اليوم، العلم بالنّسبة لنا أيسر ما يكون، النّاس كلّهم قارئون -الحمد لله- والعلوم منتشرة -بفضل لله- لكن بقي أن

---

[42]() العلق: ١.

تشغلي نفسك بالمفيد، وتدعين ربّك وأنت صادقة في أذكارك أذكار الصّباح: "اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ عِلمًا نافعًا".

يعني: لا يمكن عقد القلب على مثل هذه الحقائق إلّا بالعلم، لابدّ أن تتعلّمي.

الأمر الثّاني: لأجل أن أزيد نفسي، وأصل أن تكون المعارف معقودة في القلب؛ لابدّ من التّفكير والتّقليب لهذا العلم، فالعلم ليس ثقافة؛ نقرأ ونخرج وبعد ذلك نصير قد تعلّمنا بل لابدّ لكلّ شيء يمرّ عليك من هذه العلوم الشّريفة، أن تفكّري فيه، وتقلّبيه، وتعرضيه على نفسك، وتريه في المواقف، وهذا أمر يطول المقام في شرحه، **لكن في النّهاية المقصد**: أنّ العلم ينفع لو سبّب أن يكون قاعدة في التّفكير. **متى ينفعك العلم؟** حين تفكّرين فيه كثيرًا، وبعد أن تفكّري فيه كلّ هذا التّفكير، يصبح هذا العلم الّذي تعلّمته قاعدة في التّفكير.

نضرب أمثلة بسيطة: حين تتعلّمين مثلًا: في سورة مثل الإسراء قوله تعالى: (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا)[43]. هذا الآن كلام عظيم تقرئينه في القرآن، وفهمته،

---

[43]() الإسراء: ٧.

يعني: أيّ أحد فينا الآن صغيرًا كان أو كبيرًا، لو يشرح هذه الآية سيستطيع شرحها. حسنًا، لكن ليس هنا فقط العلم لن تصير بذلك عقيدة لا وإنّما لابدّ أن تفكّري فيه، تفكّري فيه، وتضعي كلّ المواقف الّتي يمكن أن تمرّ عليك، وتعرفي أنّك في كلّ مرّة أحسنت فيها، تكونين أحسنت لنفسك، حتّى تصبح قاعدة في التّفكير. أوّل ما تأتيك فرصة للإحسان، مباشرة سيتبادر في ذهنك أنّ هذا الإحسان، إحسان لنفسي.

وكثيرًا ما أردّد هذه القصّة لأنّ صاحبتها كانت شديدة الانفعال بها، هي قصّة بسيطة لكن لتتصوّري: هؤلاء كانوا جماعة قد سافروا في أحد مدن المملكة، وعندها أطفالها وأغراضها، أكلهم وشربهم، أكملوا وقفلوا عائدين، وبينما كانوا يجمعون أغراضهم الّتي داخل الفندق الّذي كانوا قد سكنوا فيه، رأت تفّاحة، هكذا بعيدة في الزّاوية، وكان جميع من في الغرفة قد خرجوا، أبناؤها، وأهلها، فصار عندها حالة تردّد: "هل أكرم النّعمة أم أتركها؟"؛ لأنّهم كانوا مستعجلين، قالت في نفسها: (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ)، وتذهب وتحمل التّفّاحة، فتجد تحت التّفّاحة وثيقة من وثائقهم الرّسميّة ملقاة تحتها فلمّا أحسنت أراها الله مباشرة أنّك أنت

إنّما أحسنت لنفسك، لكنّه ليس شرطًا أنّه في كلّ مرّة النّاس يجدون مثل ذلك.

أنا أقصد: أنّه هكذا يأتيك الدّرس من أجل أن تحفظيه، ويصير عندك اليقين بأنّ هذه حقيقة، وبعد ذلك لابدّ أن تمشي على هذا اليقين، وتصير قاعدة؛ وكلّما جاءتك فرصة أمامك لا تتأخّري ولا ثانية؛ لأنّك تفكّرين بهذه القاعدة.

إذًا: ماذا سنفعل؟ **أوّلًا:** سنتعلّم، هذه أوّل المسألة. **المسألة الثّانية:** سأفكّر وأقلّب الّذي تعلّمته حتّى يصل أن يكون قاعدة في التّفكير. **بمعنى:** أنّك إذا تصرّفت إنّما من وحي هذا الّذي فكّرت به، يعني: هذا الجزء من الآية، أو هذا الجزء من الحديث كالقاعدة، وبعد ذلك حين تأخذين قرارًا في أيّ موقف يكون من خلال هذا الّذي فهمته.

الأمر الثّالث: إذا تعلّمت، وتفكّرت، وجعلتها قاعدة، لا تطمئنّي لها فإنّه من الضّروري جدًّا الذّكرى، يعني: المراجعة الدّائمة؛ لأنّ هذا طبع الإنسان، أنّه ما أن يغفل عن المفاهيم، وما يردّدها على نفسه، إلّا وتغيب عنه ويُصدم في نفسه بأنّ هناك أشياء أساسيّة ومعروفة وواضحة قد نسيها فمعنى ذلك: أنّه كلّما مرّ عليك زمن؛ لابدّ أن تسترجعيها،

والأمر سهل جدًّا لو أنت كنت قد ركّزت في ختمتك، يعني: قراءتك الشّهريّة للقرآن وتلاوته، سواء كانت أكثر من الشّهر قليلًا، أو أقلّ من الشّهر قليلًا، فهذا حسب عزيمتك؛ هذه لو كلّ مرّة كنت شديدة التّنبّه فيها، ستجدين أنّك في كلّ شهر تنبني عندك المعرفة، ويزيد عندك التّفكير، وتتذكّري، يعني: يمرّ شهر وتمرّ عليك مفاهيم كلّ القرآن، وتعيدين، فتختمين المرّة الأولى، ثمّ تأتي المرّة الثّانية لتختمي، فنفس المفاهيم ستُعرض على نفسك ثانية، أنت تصوّري: نفسك مثل الّذي يدقّ في قلبه مسمارًا كأنّها قواعد، أوتاد، تعقدين عليها الأمور. فالآن الجماعة أليسوا يضعون أوتادًا لأجل أن يعقدوا عليها، أليسوا يدقّونها دقًّا، **فإذًا تصوّريها بهذه الطّريقة**: هذا المفهوم الآن يكون في أوّل شهر كأنّك دققته دقّة واحدة فدخل في قلبك، ثمّ اقرئي من جديد وردك، هذه الثّانية، هذه الثّالثة، هذه الرّابعة، وهكذا، حتّى يدخل المعنى إلى الأعماق.

وهذا كلّه يحتاج منّا الأمر الأخير، والمهمّ:

الأمر الرّابع: الاستعانة بربّ العالمين: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**)، **ما تأتي إلّا بـ** (**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)[44].

ملخّص لما قيل أثناء الدّرس

---

[44]() الفاتحة: ٥.

كيف ينتقل النّاس من **ضعف القلب**، إلى **قوّة القلب**؟

الأمر الأوّل: ينتقلون من **ضعف القلب**، إلى **قوّة القلب**، بالعلم عن الله، وكماله، وجلاله، وعظمته، عن الآخرة، ولقاء الله.

الأمر الثّاني: يكونون غاية في عقد القلب أنّهم سيجدون هذا عند الله، سيحتسبون هذا عند ربّ العالمين: "أنا أحتسب عليك يا ربّ العالمين لـمّا ألقاك أن تعطيني أجر فعلي كذا، وفعلي كذا، الّذي فعلته خفيًّا وما أردت فيه وجه أحد"، وحين تخرجين وتجدين صعوبة من أجل أن تأتي إلى مجالس الذّكر؛ تقولين: "أنا أحتسب عليك أن أقوم مغفورة لي، فأجد يوم القيامة هذا المجلس مبيّضًا منوّرًا لصحائفي، غافرًا لسابق ذنبي"، يعني: يبقى القلب ذاكرًا لقاء الله، ولا يسير كأنّه آلة

الأمر الثّالث: هذه الأمور تحتاج إلى معرفة حقيقة الآخرة وحقيقة الدّنيا.

فهذه هي العلوم الثّلاثة. نحن عندنا ثلاثة علوم يجب أن نعقد عليها القلب، ولأجل أن تصلي إلى عقد هذه الثّلاثة، عندك أربع خطوات.

إذًا: ما هي الثّلاثة علوم؟

1. **العلم بكمال الله، وجلال الله، وعظمة الله.**
2. **العلم بلقاء الله.**
3. **العلم بحقيقة الدّنيا.**

هذه الثّلاثة لو فعلتها؛ القلب يقوى.

كيف أفعلها؟ لو عقدتها في القلب؛ فإنّ القلب يقوى. كيف تفعلينها؟

الأمر الأوّل: العلم: تعلّمي، أوّل شيء؛ لابدّ أن تبقي على صلة دائمة بالعلم.

الأمر الثّاني: التّفكير: يعني: لا تأخذي المعلومات ثمّ كأنّها توضع في أدراج خاصّة بها، وتنسينها.

الأمر الثّالث: المراجعة الدّائمة للحقائق.

الأمر الرّابع: الاستعانة.

هذا كلّه يؤدّي إلى: **قوّة القلب.**

الآن هذه نتائج "قوّة القلب"

قوّة القلب، معناها: حين يأتي الإنسان، فَيُؤْمَر بأمر، أو يُبْتَلَى بابتلاء، أو يدخل في محنة؛ ما يجد نفسه ضعيفًا، منهارًا، قد فقد قواه

ولذا فإنّ الشّيء بالشّيء يُذكر: فيما حصل في يوم عاشوراء، أكيد سمعتنّ عن الصّغير الّذي قَتَل الثّاني في المدرسة، وهو -والله أعلم- قتل خطأ. **الشّاهد:** في موقف أمّه وأبيه، يعني: هذا شيء لا يوصف في الفجيعة -الله يحفظ علينا نعمه- في الفجيعة شيء لا يوصف **لكن أنت تصوّري:** حين يكون القلب قويًّا؛ **فإنّه فيما يحكي والده:** أنّه دخل وكان الطفل ميّتا في المستشفى، والأمّ بجانبه تصلّي. وكانت الأمّ قد سبقت الوالد فلمّا دخل الوالد ووجد الأمّ تصلّي، وقع عليه هو الثّبات يعني: هو ثبت بسبب الأمّ الثّابتة. وهذا الثّبات ما يكون إلّا **بقوّة القلب** و**قوّة القلب** في هذا الوقت ما هي إلّا من ذخيرة سابقة أكيد من ذخيرة سابقة لن تأتي مفاجأة.

ثمّ كان ما حصل منهم من العفو -جزاهما الله خيرًا عن الولد الآخر- أسأل الله أن يرحم ولدهم، ويحفظ شباب المسلمين جميعًا، ويجبر قلب أمّه وأبيه.

لكن المقصد: أنّ مثل هذه الأحداث -على فظاعة الموقف- الّذي يسمع الخبر تقع في قلبه رهبة شديدة: "أنّه كيف يكونون صغارًا وبعد ذلك تحصل حادثة مثل هذه؟"، **هناك وجه آخر للموقف:** كيف أنّ ردود هذا الفعل أتت مباشرة وفي نفس السّاعة؟ يعني:

- ✔ في نفس السّاعة عفا عن الولد.
- ✔ وفي نفس السّاعة شعر أنّ هذا قدر الله ما كان سيمنعه شيء

فالمقصد: أنّه من أين تأتي **قوّة القلب**؟ نسأل الله أن يثبّتهم، ويثبّتنا، ويثبّت المسلمين، لابدّ أن تكون هناك ذخيرة سابقة.

ولذا لابدّ أن تتصوّرن: كيف أنّ **قوّة القلب** تجعل الإنسان يقبل القضاء والقدر -الله يرزقنا- تجعل الإنسان يقوم بالأعمال، وهذه تحت عنوان: **"النّتائج من قوّة القلب"** لأجل أن لا أسترسل بدون عنوان.

الآن هذه **"نتائج قوّة القلب"** الله يرزقنا إيّاها، ويقوّي قلوبنا على الإيمان:

النتيجة الأولى لقوّة القلب: قبول أحكام الله القدريّة والشّرعيّة.

يعني: مهما نزل أمر قدريّ؛ رضينا بالله ربًّا، مهما نزل أمر شرعيّ؛ رضينا بالله ربًّا؛ مشرّعًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد نبيًّا ورسولًا -صلّى الله عليه وسلّم- بمعنى: ما أعترض أبدًا، ولا آتي عند باب من أبواب الخير وتتردّد نفسي عنه، فمن قوّة القلب حين تأتيك فرصة -نحن نتكلّم عن الفرص، يعني: لا تبحثي في الأماني؛ وإنّما جاءتك فرصة الآن- لا تفكّري في التّأخر؛ وإنّما اجعلي عندك **قوّة قلب**، مثلًا: تقلّبت في اللّيل السّاعة الثّانية، وأنت موعدك تقومين للقيام السّاعة الرّابعة. أنت الآن قد تقلّبت وذهب النّوم؛ **إذًا:** قوّي قلبك، قومي صلّي ركعتين، لكن أنت تحسبينها هكذا: "الآن لو قمت يطير النّوم، وأغسل وجهي فيحصل كذا؛ إذًا دعني أكمل نومي" وتضعين رأسك وتكملين نومك! -والشّيطان حينئذ ما يقصّر معك- مباشرة يجعلك ترجعين، مع أنّه ورد في الحديث، أنّ الرّجل إذا: «تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ

لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[45]، هذا لو دعا غُفرت ذنوبه، ولو قام صلّى قُبلت صلاته، لا تتركي هذا الأمر ماذا تحتاجين؟ **قوّة قلب**. فإذا قلت: "لكن النّوم" هذا النّوم قضيّته قضيّة! **نقول لك**: إنّ هذا النّشاط الّذي يأتي في القلب إنّما هو من ربّ العالمين، و **(لا حول ولا قوّة بالله)** تأتي بالنّتائج العظيمة.

فهذا المقصد: أوّل ما تأتيك فرصة، قوّي قلبك للقيام بها، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، جاءك موقف إنفاق، جاءك موقف إصلاح بين متخاصمين، جاءك موقف تعليم، جاءك موقف إكرام، لا تتأخّري قوّي قلبك ولا تفكّري في السّلسلة الطويلة الّتي يأتيك بها الشّيطان، والّتي تجعلك تشعرين بأنّك الآن لمجرّد التّفكير في القضيّة، يجعلك مهدودة الحيل وتشعرين بالهمّ الثّقيل وفي كلّ مرّة تتخلّصين منه تشعرين بأنّك أحسن لك أنّك تخلّصت!

ولذلك كثير ممّن يعلّم النّاس يعاني من شيء -كأنّها متلازمة تأتي للّذي يعلّم- أنّه لو كان اليوم عنده درس في العصر، يشعر وكأنّه جبل على رأسه جبل من الهمّ لماذا جبل من الهمّ؟ أكيد أنّ الشّيطان يريد أن يفوّت عليك مصلحة نفع

---

[45]() أخرجه البخاري (1116).

النّاس، فيثقّل عليك التّعليم ويثقّل عليك العمل ويثقّل عليك كذا فهذا كلّه يُعَالَجُ مع **قوّة القلب**، ومع معرفة كيد الشّيطان.

النتيجة الثّانية لقوّة القلب: الطّمأنينة وطرد الوساوس.

إذا قلنا الطّمأنينة وطرد الوساوس، يعني: كأنّنا نتكلّم عن أنّ هذا العلاج الحقيقي لكلّ الأمراض النّفسيّة الّتي تصيب الإنسان، نتيجة مروره بمواقف وأحداث وصدمات، حين يمرّ الإنسان بأحداث وصدمات ويكون قلبه ضعيفًا، ماذا يحصل؟ تسيطر عليه الفكرة ويصير مثلًا: معقّدًا من كذا، معقّدًا من كذا، لا يريد أن يرى كذا لا يريد أن يسمع كذا، لدرجة أنّ بعض النّاس إذا حصلت لهم مواقف مع أناس مستقيمين فإنّهم من الممكن أن يتركوا الاستقامة لأجل هذا الموقف وهذا كلّه من **ضعف القلب** فالشّيطان لا يستطيع أن يأخذ قرارًا بدلًا عنك أبدًا **لكن**: إذا وجد قلبًا ضعيفًا أخذ القرار عنك فيدفعك، ويدفعك حتّى تأخذي أنت القرار فهو لا يأخذ عنك القرار، لكن صورته كأنّه أخذ عنك القرار. **ضعف القلب** يمرّ بأحداث ومواقف، يشعر الإنسان أنّه ما عنده قدرة على علاج نفسه! فأوّل ما يهجم عليك، وتجدين أنّ الفكرة بدأت تتردّد، أو بدأت

تتردّد المخاوف، لا تسمحين له قولي: "توكّلنا على الله، اعتمدنا عليه، الله الرّزّاق، الله الكافي".

الآن عندك مخاوف، أو عندك وساوس عن أمور معينة لا تعرفين حقيقتها قولي: "دلّني، اهدني، وفّقني، أرني الحقّ حقًّا وارزقني اتّباعه"، هناك أبواب كثيرة، كثيرة جدًّا مفتوحة لك، **المهمّ:** لا تتركي قلبك ضعيفًا تأكله الوساوس أبدًا.

إذًا: الأمر الأوّل الّذي استفدناه قبول **الأحكام القدريّة** و **الأحكام الشّرعيّة**؛ وهذه كلمة ليست سهلة أبدًا يعني: الصّبر وقت نزول البلاء أن نتكلّم كما يُرضي الله، وقت نزول البلاء أن نتصرّف كما يُرضي الله، هذا كلّه من **قوّة القلب. ومثله** وقت **الأحكام الشّرعيّة**، فلا نردّها، ولا نعترض عليها، ولا يحصل في قلبنا قلّة قبول لها، أو مثلما أورد الشّيخ هنا، لـمّا قالوا: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)[46]، هذا كلام قوم موسى؛ لـمّا أمرهم الله بأمر شرعيّ؛ هذا كان ردّهم، أنّهم لن يدخلوها. لماذا لن يطيعوا الأمر؟ قالوا: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، لن يدخلوها إلّا إذا خرجوا منها، ما هي الفائدة إذًا؟! فأصلًا كان من المفترض عليكم أن تدخلوها وهم في

---

[46]() المائدة: ٢٢.

داخلها، فحين يخرجون منها ماذا يُراد منكم؟! لماذا كان هذا ردّهم على رسولهم؟ مثل هذا يحصل **لضعف القلب**.

النتيجة الثّالثة لقوّة القلب: إرادة الإصلاح والبذل له.

فالقلب الآن مطمئنّ ما يخاف من كذا، وكذا، ماذا يحصل إذا أصبح القلب قويًّا؟ أراد الإصلاح، يعني: **لو صار قويًّا:**

- ✔ **في معرفة الحقّ.**
- ✔ **وفي الثّقة به.**

يأتي بعد ذلك أنّه:

- ✔ **يريد الإصلاح.**
- ✔ **ويبذل لهذا الإصلاح.**

وتجدين هؤلاء الّذين يصلحون ما يشغلهم أن ينتقدهم فلان، أو أن ينتقدهم علاّن، ولا يريدون أن يلمّعوا صورهم أمام النّاس، وحين يأتي أحد يقول لهم: "لماذا تتعبون أنفسكم وتبذلونها؟ ارتاحوا، فالنّاس لمجرّد أن تتعرّض لهم ينتقدونك، إذا أعطيتهم انتقدوك وإذا منعتهم انتقدوك؛ فاتركهم لحالهم!"

يقول: "لا، هذه مسؤوليّة"، فتحصل عنده **قوّة قلبيّة** لتحمّل المسؤوليّة. أيّ مسؤوليّة هنا؟ مسؤوليّة الإصلاح الّتي بها تكون المجتمعات مباركة. لا أن يُصلح نفسه فقط، وإنّما سيقوى قلبه ويصل إلى درجة الإصلاح. يعني: كلّما زاد القلب قوّة، زادت عنده الرّغبة في الإصلاح، وزاد عنده البذل لأجل الإصلاح؛ فتجده مُؤَرَّقًا ليله ونهاره؛ ماذا يصنع لكذا، ماذا يصنع لكذا، كلّما تظهر ظاهرة يتكلّم عن كذا، يناقش كذا، يقرأ في كذا، يكتب في كذا، يرسل في كذا، يقترح على النّاس كذا.

يأتيه أحد يقول له: "لماذا تشغل نفسك؟ لماذا أنت متعب؟ اتركهم!" لا، ليس هناك "اتركهم"، **بل** هناك قوّة قلب تجعل الصّلاح والإصلاح هو الهمّ الّذي يهمّه.

فماذا يحصل الآن؟ هذه النّتيجة المهمّة الآن: حين يصبح القلب قويًّا يخرج من الضّعف الشّهواني إلى السّموّ الرّبّاني، يعني: يبدأ يخرج من حبّ الدّنيا، ومن حبّ شهواتها، ويرتقي إلى الأعلى، فتصير عنده حالة من السّموّ، بعدما كان رهينًا للشّهوات. يعني: كان في الأوّل يحسب، يقول: "هذه المائة ريال نذهب نتمشّى بها، ونتعشّى بها، وهذه 50 ريال نذهب

نشتري بها كذا، وكذا، ونذهب لهذا المكان، ونذهب لهذا المكان" خرج من هذا وأصبح يقول: "هذه لأجل أن نعطي للنّاس كذا، وهذه لأجل أن نشتري هنا كتبًا، وهذا الوقت لأجل أن نفعل كذا، وكذا" خرج من الشّهوانيّة إلى السّموّ؛ وهذا أهمّ شيء في **قوّة القلب، هذه النّتيجة المتوقّعة**: أن يخرج من شهوانيّة الدّنيا، وهذا الخلط الدّائم، والطّلبات الدّائمة، الّتي ما تنتهي؛ لأنّك مسكينة إذا اعتقدت أنّ نفسك حين تذيقينها شيئًا من شهوتها فالمرّة القادمة لن تطلبك غيرها! أبدًا فأنت تنتهي من هذا تذهبين لهذا وتخرجين من هذا إلى هذا! فهكذا هي نفسك تنتهي من هذه القضيّة تذهب لهذه القضيّة، وطبعًا حولك اليوم من المؤثّرات ما يجعلك لا ترفعين رأسك! وأنت سواء كنت محتاجة أو غير محتاجة أوّل ما تفتحين وتجدين أحدًا عنده تخفيض، مباشرة تقولين: "تخفيض تخفيض" ولكن ما فائدة التخفيض؟ وهل أنت أصلًا محتاجة لهذا الشّيء؟! أم أنّه لمجرد أنّه تخفيض؛ تجرين عليه؟! فهذا يحصل لأنّ الدّنيا كلّها خربطة! وكلّ شيء يجري عليه النّاس هم أصلًا ليسوا محتاجينه حقيقة، لكن كلّ هذا بسبب **ضعف القلب**، إذا قوي القلب خرج من هذا، وعرف ما هو دوره ووظيفته في الدّنيا.

وأنا أؤكّد عليكنّ: هذا الكلام أكيد ليس له علاقة في كون أنّ الإنسان يتمتّع بالحياة الدّنيا، قال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[47]، لكن هناك فرق بين أن تتناولي هذه الأرزاق، وأنت هادئة، لا تجري، ولا تسرعي، ولا ترين الحياة في هذا، وبين أنّك تعيشين من أجل هذا.

على كلّ حال، اليوم لم نقل شيئًا من الّذي يجب علينا أن نقوله، لكن -إن شاء الله- الأسبوع القادم نُكمل.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[47]() الأعراف: ٣٢.

اللّقاء الثّالث

27 المحرّم 1441

تابع باب ذكر ضعف القلب

تابع التّعليق على الدّليل الأوّل والثّاني والرّابع

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلّنا على الله، دعنا اليوم نبدأ مباشرة في مقصدنا، **وهو**: الكلام عن **كبيرة ضعف القلب**، وكنّا المرّة الماضية والّتي قبلها، قد مهّدنا لهذا الموضوع، وتناقشنا في كثير من تفاصيله. اليوم نبدأ بسم الله، بالآية الّتي ذكرها الشّيخ مبيّنة لشأن **ضعف القلب، وهي**: الآيات في سورة المائدة.

الآيات في سورة المائدة، نبدأ من الآية (20)، وينتهي السّياق عند الآية (26). سنتابع سويًّا الآيات، ونفهم من خلال هذه الآيات معنى **ضعف القلب**، يعني: ما معنى أن يكون القلب ضعيفًا؟ لكن من خلال القصّة.

بسم الله، نقرأ آية، آية، وفي كلّ آية كأنّنا نسأل مجموعة أسئلة، ونجيب عليها، إلى أن نصل إلى موطن الشّاهد.

اقرئي الآية من كتاب الكبائر أوّلا في الصّفحة (17)، اقرئي كلّ المتن للباب:

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتاب الكبائر: "**باب ذكر ضعف القلب**: وقول الله تعالى: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)[48]. الآية. وقوله تعالى: (الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[49]. وقوله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ). الآية:[50]، وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)[51].

ولهما عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده، والمهاجر مَن هَجَرَ مَا نَهى الله عنه»[52]."

---

[48]() الكهف: ١٤.
[49]() العنكبوت: ١_3.
[50]() المائدة: ٢٢.
[51]() العنكبوت: ١٠.
[52]() أخرجه البخاري (10).

كانت الآية الأولى واضحة، الّتي هي قوله تعالى: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ). ما دلالتها؟ دلالة عكسيّة، يعني: هو يقول: **"باب ذكر ضعف القلب"**، من الكبائر: **ضعف القلب**.

هذه الآية الّتي في سورة الكهف: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، لها دلالة عكسية، يعني: هؤلاء القوم كانوا أقوياء القلب حتّى أنّهم: (قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[53]. في أحد تفاسير هذه الآية: (قَامُوا فَقَالُوا)، **قال أهل العلم**: "قاموا أمام الجبّارين"، الّذين في قومهم، الّذين كانوا يعبدون غير الله، قاموا أمام الجبّارين وقالوا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)؛ **إذًا**: آية سورة الكهف دالّة على أنّ أقوياء الإيمان، الله -عزّ وجلّ- يربط على قلوبهم، فإذا ربط على قلوبهم أصبحوا أقوياء القلب.

نأتي الآن لآية العنكبوت: (الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)، الآن القوم الّذين يدّعون الإيمان، يقولون: "نحن مؤمنون "، كلّ إنسان يقول: "أنا مؤمن"؛ لابدّ أن يتأكّد أنّه سيُبتلى بابتلاء، ويُختبر باختبار، إذا ثبت وقَوَّى قلبه، وعلم أنّ هذا مجرّد اختبار، وأنّ الأمر بيد الله، وأنّه -سبحانه وتعالى- يُدخل الإنسان هذه المحن ثمّ

---

[53]() الكهف: ١٤.

يُخرجه بلطفه، **وأنّ المقصد للمؤمن من دخول المحن:** التّزكية، التّطهير، العلوّ، ارتفاع المنزلة؛ كلّ هذه عطايا من ربّ العالمين تأتي حين يدخل الإنسان الاختبار ويكون كما ينبغي في الاختبار. **فلا تظنّي:** أنّك تقولين إنّك مؤمنة وما تتصوّري أنّ هناك فتنة.

فالنّوع الأوّل من النّاس إذا أتتهم الفتنة، كانوا أقوياء في إيمانهم، يطلبون من ربّ العالمين أن يربط على قلوبهم، ما ينهارون -كما يُعبَّر اليوم- يعني: يحصل عند هذا انهيار عصبي يحصل عند هذا اكتئاب، يحصل عند هذا مرض نفسي إنّما يُبتلى، ويُربط على قلبه، بما يكون منه من قوّة إيمان؛ هذا صنف من النّاس.

صنف آخر يأتي الكلام عنهم أيضًا في آية العنكبوت، يعني: سنترك الآية (3)، ونذهب إلى الآية الرّابعة: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)، يعني هذا يُفْتَن فتنة عظيمة؛ بحيث أن يكون أثر هذه الفتنة على قلبه أنّه يساوي بين عذاب الله وعذاب النّاس، فمن كثرة ضعف قلبه يخاف من النّاس على الأقلّ بصورة مساوية لخوفه من الله، وهذا **معناه:** أنّه فُتِنَ وإلّا فإنّ المؤمن

يعلم أنّ الرّوح الّتي بين جنبيه ما يُخرجها إلّا من بَراها، إلّا من أعطاها، فبهذا تحصل قوّة في القلب؛ وأنّ الحفظ، والحماية، والرّعاية، والشّفاء، والعطاء، والرّزق، كلّه بيد الله.

وهذا الكلام في الرّخاء يسير، لكنّه في الشّدّة أصعب ما يكون يعني: الآن طالما نحن نتكلّم في رخاء؛ فيقول الإنسان أنّه: "من المفترض أن لا نساوي بين عذاب الله وبين فتنة النّاس"، لكن فقط الله هو المسؤول أن يربط على قلوبنا في كلّ حال -الله يربط على قلوبنا في كلّ حال- ولا يجعلنا ممّن إذا ابتُلي -ولابدّ من الابتلاء- جعل أذيّة النّاس كعذاب الله -نعوذ بالله من الخذلان-.

ولذا ربّنا يقول: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذ□ى)[54]، لن يضرّوكم ضررًا حقيقيًّا؛ إنّما هو الأذى البسيط، الّذي وراؤه رفعة الدّرجات، ووراؤه الفلاح، والنّجاح، والرّبح على ربّ العالمين؛ لأنّ من أوذي في دينه من أجل دينه، أو أوذي في دنياه وهو مظلوم، ثمّ توكلّ على الله، واحتسب على الله؛ كلّ هذه أبواب لمنازل في الجنّة، ما يصلها الإنسان إلّا من هذا البلاء. فالّذي يرى كامل الصّورة؛ يرى الدّنيا والآخرة، يعرف أنّ البلايا والرّزايا من هنا؛ إنّما هي لمنزلة رفيعة عند

---

[54]() آل عمران: ١١١.

ربّ العالمين؛ الّذي يستحضر هذه الصّورة يقوى قلبه؛ بينما ضعيف الإيمان، ضعيف القلب، ما يتصوّر إلّا الأذيّة الّتي تقع عليه الآن، فيتنازل ممكن عن قيمه، يتنازل عن دينه؛ من أجل دفع مثل هذه الأمور، أو من أجل كسب بعض أمور الدّنيا. **إذًا:** هكذا عرفنا الدّليل الأوّل، الثّاني، الرّابع، أصبح واضحًا، فأنا الآن أمرّ على ما مضى من نقاش.

بقي علينا الآية الثّالثة الّتي هي في سورة المائدة، هي موضوع نقاشنا اليوم: آية سورة المائدة. كيف سنتدارسها؟ من خلال المصحف مباشرة نفهم جملة، جملة، من الآيات.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)[55].

إذًا: بداية السّياق: امتنان من الله على بني إسرائيل، ماذا يقول لهم ربّ العالمين؟ الله -عزّ وجلّ- يحكي لنا ما قاله موسى لقومه: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ)، ماذا؟ (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)، يعني: اذكروها بقلوبكم، وبألسنتكم، وكونوا على يقين أنّ ما أنتم به إنّما هو من ربّ العالمين.

لماذا يذكرون (نِعْمَةَ اللَّهِ)؟ كلّما ذكر العبد نعمة الله نشط للطّاعة، والعبادة؛ ولذلك أنت تقولين في أذكار الصّباح: «مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»، بعدها ماذا تقولين؟ «فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ»[56]؛ ولذلك كلّ الطّاعات والعبادات اسمها: شكر.

---

[55] () المائدة: ٢٠.

[56] () أخرجه النسائي (8579).

والله -عزّ وجلّ- يصف آل داود، القوم الطّائعون، العابدون، ماذا يقول لهم؟ (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا)[57]، يعني: عملكم في الطّاعات إنّما هو شكر على النَّعْماء؛ ولذلك أوّل ما بدأ موسى -عليه السّلام- في خطابه لقومه يذكّرهم بالنَّعْماء؛ لأنّه ذاكر النِّعْمة، ناسب النِّعمة إلى الله، وليس لجهده وقوّته؛ أوّل ما يتذكّر النِّعمة ينشط قلبه لطاعة الله، ينشط قلبه للشّكر؛

- ولذا بداية صلاح النّفس، و**قوّة القلب**، نسبة النِّعمة إلى الرّبّ.

- وأفسد الفساد للقلب نسيان المنعم والاشتغال بالنِّعمة.

ولذا دور المربّين، الآباء، والأمّهات، وكلّ من يشترك في عمليّة التّربية، أن يبقى موقفه مثل موسى -عليه السّلام-، ماذا يفعل؟ يذكّرهم دائمًا بنعماء الله، طوال الوقت لسان لا يفتر، طوال الوقت: "نحن مُنْعَمٌ علينا، نحن مُنْعَمٌ علينا"، وتُعَدَّد النِّعَم بالتّفصيل، حتّى ما يغيب عن الإنسان بفعل الشّيطان نعمة ربّ العالمين، فيكون الحمد والشّكر باللّسان،

---

[57] () سبأ: ١٣.

وبالوجدان، وبالجوارح، فيقوم مصلّيًا شاكرًا، وصائمًا شاكرًا، ومنفقًا شاكرًا.

إذا حصلت **قوّة القلب** هذه، جاءت العبادات، وإذا حصل ضعف القلب الّذي مبدؤه هنا:

⇐ نسبة النّعماء لغير الله.

⇐ الانشغال عن المنعم بالنِّعمة.

هكذا يبدأ ضعف القلب، يصير الإنسان متعلّقًا بالنّعمة، ناسيًا المنعم؛ ولذا يكون منعمًا عليه بمال وعطاء من ربّ العالمين، فتجده متعلّقًا بالمال، ليس متعلّقًا بشكر معطي المال!

الشّاهد: أنّ موسى -عليه السّلام-، نادى قومه، وقال لهم: (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ)، هذه النِّعمة واضحة، ما هي النّعمة؟ (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ)، يعني: بعد ما كنتم قومًا لا ذكر لكم؛ من عند يعقوب -عليه السّلام- والأنبياء متتابعون؛ دائما عندكم من ينصحهم، وينذركم، وينبّهكم.

وأيضًا (وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا)، وهذا فيه أنّ الله -عزّ وجلّ- أنعم على بني إسرائيل في مراحل من حياتهم، فكانوا

أصحاب ملك. وحتّى لـمّا خرجوا من عند فرعون، سنرى كيف عُرِضَ عليهم العودة إلى ذاك الشّأن، وإلى تلك المنزلة، وهم بضعف قلوبهم عادوا مرّة أخرى إلى حال الذّلّ، ولذلك كان التّيه جزاؤهم؛ **فإذًا:** عرفنا معنى: (جَعَلَكُم مُّلُوكًا)، يعني: جعل فيكم ملوكًا، و(جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ).

(وَآتَاكُمْ)، من النِّعم الدّينيّة، والدّنيويّة، (مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ)، فهم في زمانهم يُعتبرون خيرة الخلق؛ وهذا شأن لابدّ من فهمه؛ **أنّك تفهمين**: أنّ الله يفضّل في كلّ زمان قومًا، فإن لم يستقيموا على الصّراط المستقيم، أبدل الله -عزّ وجلّ- عنهم غيرهم. فكان ما كان من بني إسرائيل، فأبدلهم الله بأمّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ وأمّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خاتمة الأمم، يعني: النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خاتم الأنبياء، وأمّته سواء كانت أمّة الدّعوة أو أمّة الاستجابة، هي خاتمة الأمم. يعني: الآن كلّ النّاس اليوم، **اسمهم**: أمّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-. إلّا أنّ أمّة الدّعوة هي كلّ النّاس، وأمّة الاستجابة هم الّذين آمنوا. كيف سيحصل التّبديل؟ يعني: بنو إسرائيل الآن كانوا هم أفضل النّاس، لـمّا تولّوا عن الأمر لضعف قلوبهم، استبدلهم الله، بأمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

أمّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- آخر الأمم، كيف سيحصل الاستبدال حين يكونون ضعفاء؟ **أنت تصوّري الآن:** أمّة محمّد، هي كلّ العالم، **اسمها:** أمّة الدّعوة، يعني: كلّهم مخاطبون بالدّعوة. ثمّ داخل أمّة الدّعوة هناك أمّة الإجابة، فأمّة الإجابة هذه هي الّتي تُحشر مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، هذه هي الّتي لها فضل؛ أمّا الباقي الّذين كفروا به فقد انتهى أمرهم، يعني: أصبحوا من الكافرين بالنّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

ماذا يحصل في داخل أمّة الإجابة؟ حين يكون القوم مستجيبين لدين الله، ثمّ يحصل منهم ضعف، ماذا يفعل الله بهم؟ يبدّلهم الله بغيرهم مِنْ أمّة محمّد.

نضرب مثالًا بسيطًا من أجل أن تتصوّرن المسألة: الآن قبل ما يقارب مائة عام وأكثر، كانت الدّعوة السّلفيّة الّتي هي على منهج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- خالصة صافية في الهند، وكانت أوّل ما ظهرت المطابع، كانت المطابع الهنديّة أوّل ما طبعت الكتب الحديثيّة. (المتّقي الهندي)، هذا أحد علمائهم الكبار، له كتاب ضخم، اسمه: **(كنز العمّال)**، هذا

كتاب ضخم فيه جمع لأحاديث كثيرة؛ إنّما يرمز لقوّة الحديث في الهند.

فكّري الآن، الهند، فيها أكثر من (365) فرقة وديانة وهذا وجه من وجوه الاستبدال، انتقلت تلك الدّعوة بتلك القوّة إلى غيرهم لكن الآن نحن نفكّر في غيرهم؛ غيرهم الّذين جاءتهم الدّعوة، وصارت عندهم القوّة؛ لو ضعفت قلوبهم عن احتمال هذا الأمر، والقيام بشأنه، ماذا سيحصل؟ سَيُسْتَبْدَلون أمّا الدّين سيبقى دينًا، وأمّا النُّصرة تبقى نُصرة، وأمّا ارتفاع شأن الإسلام بالنّاس سيبقى، لكن كلّ الّذي سيحصل أنّهم سيُستبدَلون: (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[58].

المقصد الآن: إنّ قوم موسى -عليه السّلام- هنا في هذا الموقف كانوا خير أمّة في ذاك الزّمان؛ ولذا الله -عزّ وجلّ- يقول لهم: (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)، يعني: في ذلك الزّمان كانوا خيرة الخلق، أكرمهم على الله، ذكّرهم موسى -عليه السّلام- بالنِّعَم الدّينية والدّنيويّة.

الآن بعدما ذكّرهم، **نرى**: ماذا طلب منهم؟

---

[58]() محمد: ٣٨.

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)[59].

يعني: بعد التّذكير بالنِّعمة أمرهم بأن يدخلوا (الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ)، يعني: المطهّرة، **ويُقصد بها**: أرض فلسطين الّتي كان فيها من الأساس أبوهم يعقوب، وقبله إبراهيم عليه السّلام، وبعد ذلك قال لهم خبرًا يطمئنهم، يقول لهم: (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)، يعني: كتب لكم، هذه كتابة قدريّة، مادام كتبها لكم (ادْخُلُوا) سينصركم ربّ العالمين. إذا كانوا مؤمنين مصدّقين؛ أقوياء القلب، ماذا كان سيكون موقفهم؟ سيستجيبون؛ لأنّ هذه بشارة عاجلة أنّ الله **كتبها لهم**. يعني: كتب لهم الدّخول فيها، وأنّ انتصارهم على عدوّهم محقّق.

وقد كان موسى عليه السّلام يعرفهم؛ لأجل ذلك قال لهم: (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)، تخسرون ماذا؟ الدّنيا والآخرة بهذه البلادة وبهذا **ضعف القلب**، فهو كان يعرفهم لأجل ذلك قدّم لهم بهذه المقدّمة. وما خاب ظنّه فيهم، **انظرن**: ماذا قالوا:

---

[59]() المائدة: ٢١.

(قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ).

الآية مليئة بالدّلائل على **ضعف القلب**، الّتي من أوّلها أنّهم قبل أن يقولوا نحن (لَن نَّدْخُلَهَا)؛ قالوا أوّلًا: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، يعني: من شدة **ضعف القلب** قدّموا ذكر السّبب، وبينوا أنّهم في حالة خوف شديد من هؤلاء يعني:

- موسى عليه السّلام، يقول: (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ).

- وهم يقولون: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)

هذا هو شاهد ضعف القلب: كيف يُقال لك: "إنّ الله ابتلاك واختبرك، وبعد الابتلاء كوني متأكّدة أنّه سيعطيك، أنّه سيمنّ عليك، فقط ادخل البلاء واخرج منه كما يريد الله، وأبشر سيعطيك، قد كتب لك الأجر، قد كتب لك المكان، قد كتب لك الدّرجة، قد كتب لك النّجاة"، تتجاهلين هذا كلّه وتكونين واقعيّة -كما يعبّرون-، واقعيّةَ الجبناء لأنّهم الآن أليس فيها قوم جبّارون؟ فيها قوم جبّارون، لكن المؤمنين كما في بدر، ما حسبوا الأمر كما يحسبه أهل الأرض؛ عرفوا أنّ ربّ الأرض والسّماء معهم، فدخلوا بقلّة عدد وعُدّة، وكانوا واثقين

في ربّ العالمين، فلمّا دخلوا مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- تلك الغزوة الّتي لم تكن على البال، ظهرت مكانتهم ودرجتهم؛ **في مقابل**: هؤلاء الّذين مُهِّدَ لهم، وقيل لهم "إنّ الله كتبها لكم"، ومع ذلك كان هذا جوابهم: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، يعني: الخذلان هنا، و**ضعف القلب، في مقابلة الخبر**: إنّ الله كتب لك، وأنت تقول: "لا واقعيًّا هذا الكلام غير صحيح ".

لأجل أن تتصوّرن: خور القلب هذا، تصوّرنه في أوضاعنا العامّة، **يُقال لك**: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»[60]، قطّ أبدًا، بمعنى: أنّ المال الّذي تخرّجين منه الصّدقة لا ينقص؛ الآن هذا الحقّ اليقين.

بالحسابات الدّنيويّة، الواقعيّة؛ كأنّه ينقص في العدد لكن أنت تعلمين أنّ خبر الله أصدق من بصرك، وسمعك، وعدّك، وعقلك، فتقولين: "هذا الخبر أتى من الرّسول الكريم عن ربّ العالمين، الّذي في يده خزائن السّماوات والأرض، مادام قال: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»؛ فإذًا يصير ما نقص "، **ويصير معنى هذا**: أنّك ما تنتظرين أن تتلمّسي كيف أنّه «مَا نَقَصَ»؛ وإنّما تكونين من الواثقين.

---

[60]() أخرجه الترمذي (2352).

وهذا نفسه الشّعور اليقيني الّذي في داخل قلبك، يأتي يوم القيامة كمثل الجبل الرّاسي الضّخم، ويوضع في ميزان حسناتك؛ وبذلك تثقل الحسنات بعقائد الإنسان، (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ)، (حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)[61]، فأنت لا تستهيني يعني: لا تتعاملي مع النّصّ الشّرعيّ على أساس أنّه عمل عمليّ، وإنّما أوّل شيء ابدئي به بأنّه اعتقاد؛ من أجل أن يكون قلبك قويًّا؛ لأنّه من الممكن أن تكون -ونحن جالسات الآن- فينا من لا تملك أصلًا أن تُخرج صدقة، من أجل أن تفكّر أنّه لا تنقص الصّدقة من مالها، فممكن أن لا يكون عندي أصلًا ما أتصدّق، سألقى الله بماذا؟ باعتقادي اليقيني أنّ الصّدقة لا تنقص المال.

وبهذا يدخل الإنسان في أبواب عظيمة من أبواب قوّة القلب، ويدخل في أبواب عظيمة من أبواب الأجور المُهملة، يعني: أنت تكونين نائمة على فراشك، قد سُهِّلَ لك أبواب للطّاعة وارتفاع الدّرجات، بمعنى: في اللّيل الآن حين نقرأ آية الكرسي، وننفث، ونمسح، ونتفكّر في الوعود، أنّه إذا قرأتها ما قربك شيطان، وإذا توضّأت ونمت باتت معك الملائكة.

---

[61]() العاديات: ٩_١٠.

انظري: هذا شيء غير القراءة نفسها؛ فالقراءة نفسها عمل تتقرّبين به إلى الله، والاعتقاد عمل آخر تتقرّبين به إلى الله؛ وهكذا يجب أن يكون المؤمن قويّ القلب بِملْء القلب بالاعتقادات الثّابتة الواردة في النّصوص؛ فالخطاب لك، **كما مثلًا:** أنّ ملكين يقولان كلّ يوم مع شروق الشّمس: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[62]، هذا يقينًا موجود، وأنت يمرّ على خاطرك وكأنّك تسمعين الملائكة تقول، وبهذا تُكتَب لك أجور غير أجور الإنفاق؛ فلابدّ أن تفرّقن بين الأمرين، يعني: قويّ القلب مليء بالاعتقادات الصّائبة الصّحيحة؛ ولذا حين يمرّ الإنسان بظروف وأحوال فيها مخاوف، فيها أمور مزعجة، ويقرأ في كتاب الله التّأمين، كيف يؤمّن الله عباده، كيف قالوا: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فانقلبوا بنعمة، وهو يمرّ بأيّ ظرف، ويقول: "أنا على يقين إذا قلت هذا القول، مثلما قاله الصّحابة الكرام، سأنقلب بنعمة، اليوم، أو غدًا، أو بعد الغد، أو في اليوم الّذي يختاره الحكيم العليم"، ويبات وهو مطمئنّ القلب، قويّ القلب أنّ ما أخبر الله في كتابه، وما أخبر به نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- حقّ يقيني.

---

[62]() أخرجه البخاري (1385).

المهمّ: قوّة القلب الآن دائرة حول أنّك تأخذين الاعتقادات، وتملئين قلبك بها، وتتعاملين مع الواقع بما وصف الله، وبما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

هؤلاء، ماذا كانت حالتهم؟ خلاف ذلك -الآن نرجع لبني إسرائيل- يقول لهم: (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)، وهم يردّون يقولون: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، فهذه الصّفة الّتي اشتهرت عنهم، جعلت بني إسرائيل ينكشفون ويظهر أنّهم جبناء، ضعفاء؛ فهذا القول يدلّ على ماذا؟

هنا الشّاهد: أنّهم قالوا: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)؛ هذا الشّاهد يدلّ على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، على عدم يقينهم.

هم ماذا يقصدون بـ (قَوْمًا جَبَّارِينَ)؟ يقصدون أنّهم أقوياء، شديدو القوّة، وجعلوا هذه المسألة الحسّيّة مانعة من التّقدّم، دليل على أنّ قلوبهم مليئة بالمحسوس وليس الغيب، **وهنا أين هو سبب الضّعف:** كلّ شخص يقول لك: "كوني واقعيّة" يريد أن يقول لك: **"**كوني مؤمنة بالمحسوس واتركي عنك الغيب**!"** تأتي تقولين له: "لا" ، يقول لك: "الآن، الآن خذي قرارًا في مسألة"، تقولين له: "اصبر، أستخير ربّنا، يأتي الثّلث الأخير من اللّيل أدعو ربّنا، أبتهل إلى ربّنا، أذهب

آخر الأسبوع أطوف وأسعى وأدعو ربّنا"، يقول لك: "كوني واقعيّة، الآن اتركي عنك هذا!" ، "كوني واقعيّة" هنا، مثل هؤلاء بالضّبط يقول لهم: (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)، يقولون: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ).

أنا يهمّني أن تتصوّرن المسألة واقعيًّا: بالنّسبة لنا كيف يصير هذا خور القلب؟ لأنّ هذا خور القلب إنّما يكون بسبب أنّ الإنسان يؤمن بما تراه عيناه، وتسمعه أذناه، وتحسّه يداه، أكثر من إيمانه بالخبر عن العزيز العليم -سبحانه وتعالى- وهذا هو **ضعف القلب** بالضّبط.

على كلّ حال، العلّة الّتي ذكرها الآن هؤلاء؛ تدلّ على جبنهم، وخورهم، وضعف عزيمتهم، وإيمانهم بالمحسوس، وعدم إيمانهم بالغيب، يعني: استسلامهم للمحسوس، وعدم يقينهم بالغيب.

ودعنا نؤكّد: أنّ الغيب هنا **يُقصد به:** ما نصّت عليه النّصوص، وليس الخرافات والكلام الموروث، لا، الّذي نصّت عليه النّصوص فهذا هو الغيب. فإذا نصّت النّصوص على أنّ البركة من الله، وإذا نصّت النّصوص على أنّ الصّحّة من الله، وإذا نصّت النّصوص على أنّ الرّاحة

وذهاب القلق والهمّ والغمّ إنّما يكون بذكر الله؛ فالقلب القويّ يتيقّن بذلك ويقبل عليه؛ الثّقة بالنّصّ الّذي أتاك من الغيب.

المشكلة الآن: أنّ النّاس في صراع:

- بين عقولهم وما تحسّ به جوارحهم.
- وبين ما جاء من الغيب.

هنا المشكلة؛ فكلّما ضعف القلب، وضعف الإيمان، صارت المسألة أكثر ميلًا إلى المادّة؛ ولذلك النّاس يصدّقون -والنّساء طبعًا على رأسهم- أنّ هذا الشّيء الجيّد من الملبس **مثلًا**، إنّما هو جيّد لأنّه "ماركة " لكن قولي لها: "ربّنا بارك في هذا، وأنا اشتريته بكذا من المبلغ البسيط، لكن ألبسته ابنتي الأولى والثّانية والثّالثة، ربّنا وضع فيه البركة"؛ هذا الكلام كأنّه يُرى أنّه كلام الدّراويش.

فكلّ مال، هذه المسائل تنسحب وتضعف نتيجة أنّ النّاس أصبحوا أكثر مادّيّة **وهذا بالضّبط هو معنى ضعف القلب**: هناك نصّ، وهناك أمر محسوس، ماذا فعل بنو إسرائيل؟ جعلوا الأمر المحسوس غالبًا على النّصّ الّذي جاء به الخبر؛ فمهما كانوا قومًا جبّارين، ومهما كان عندهم من السّلطة،

والقوّة، والعظمة، إذا كان الله قد كتبها لهم، ماذا يظنّون؟ ستأتي أسباب ما تمرّ على الخاطر تُذهب قوّتهم وجبروتهم، ويقوى هؤلاء ألم تنزل مع الصّحابة الكرام الملائكة من الملإِ الأعلى وقاتلت معهم؟ بلى، قاتلت معهم. هل كانوا ينتظرون هذا؟ ما كان على بالهم، لكن كانوا مؤمنين، متيقّنين أنّ وعد الله حقّ.

فهذا هو المقصد: في الصّغير والكبير، يعني: لا تجعلوا هذا الكلام للمسائل الكبيرة فقط؛ إنّما للصّغير من المسائل وللكبير منها؛ فإذا كان هناك نصّ، فالنّصّ يغلب المحسوس، النّصّ يغلب أيّ شيء محسوس.

هيّا نكمل فقط من أجل أن نتصوّر الموقف كاملًا، **لكن أريد أن أنبّهكنّ هنا تنبيهًا**: أنّه من سوء أدبهم، حتّى ما قالوا: "يا نبيّ الله" قالوا ماذا؟ (يَـا مُوسَىٰٓ) يعني: لا "يا نبيّ الله " لا "يا رسول الله " ولا أيّ شيء من الجبن والخور! وكأنّهم ما يسمعون ما قال لهم موسى -عليه السّلام-. فهذا كان من الأمور الملاحظة في كلامهم.

اقرئي في نفس الآية: (وَإِنَّا):

(وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا). أين القتال؟ فالآن على قول بعض الشّرّاح: "هذا كلام صبيان"، يُقال لهم: "ادخلوا قاتلوهم" يقولون: "لا، نحن لن ندخل إلّا حين يخرجون منها" أنت من ستقاتل حين يخرجون منها؟! إذا خرجوا فقد انتهى الموضوع ولن يكون هناك قتال أصلًا! **فانظري:** كيف حال عقولهم! يعني: يشترطون عليه: (إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا)، بمعنى: أنّهم يرون دخولهم مِنَّة يعني: "نحن سنمتثل الأمر لكن بعد أن يخرجوا منها" وهذا ليس فقط امتثال مشروط؛ لا، فالموضوع أكبر من الامتثال المشروط يعني: هذا دلّ على أنّهم أغبياء ويستعملون أسلوب الغباء لأنّهم في مثل هذا الموقف مطلوب منهم أن يقاتلوا وهم يقولون: "لا، لن ندخلها إلّا حين يخرجون منها " فأين امتثال الأمر؟

لكن مثل هذه الأمور؛ إنّما هي من زخارف القول، يعني: النّاس من الممكن أن يخدعوا النّاس بمثل هذا الكلام وإذا دخلنا للكلام عن زخارف القول لن ننتهي، فكثير من الأقوال الّتي فيها دعاوى الّتي تدفعك بعيدًا عن الإيمان بالغيب إنّما هي من زخارف القول مثل هؤلاء يقولون: (وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا).

أكملي:

(فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ).

هل ترين: كيف أنّ الجملة وردت مرّتين، على طريقتين؟ كلّها تدلّ على الجبن وقلّة اليقين، وأنّهم غير راشدين، لكن لو كانوا عاقلين لعلموا أنّهم كلّهم بنو آدم يعني: هم، والقوم الجبارون، مشتركين في أيّ شيء؟ أنّهم من بني آدم، وأنّ القوّة قوّة الله، وأنّه إن كان معك الله فمهما كان الّذي أمامك فيه قوّة وجبروت؛ فالغلبة لله لكنّهم قوم فيهم سفاهة:

⇐ من سفاهتهم أنّهم قدّموا المحسوس على الخبر الغيبي.

⇐ من سفاهتهم أنّهم طلبوا أن يكون لهم شرف ومنزلة بدون أن يقدّموا لهذا الشّرف والمنزلة ما يجب أن يُقدّم.

قارني بينهم وبين: صحابة الرّسول الكريم -رضي الله عنهم أجمعين وصلّى على نبيّنا وعلى جميع الأنبياء- **انظري:** للصّحابة الكرام، كيف كان صغيرهم -وليس كبيرهم- صغيرهم يمدّ أصابعه في الأرض من أجل أن يزداد طولًا قليلًا من أجل أن يدخله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في

الميدان والقتال! **انظري:** هؤلاء وهؤلاء وكيف أنّهم في موقفهم المشرّف في بدر، كيف خرجوا مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وقالوا له: «إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ)»[63].

تصوّري: استحضار قلوبهم لهذه المعاني، وقوّة قلوبهم، وكيف أنّ **قوّة القلب**، لـمّا جاء الإيمان وقعت في مكانها؛ ولذلك لـمّا اختار الله العرب خاصّة، اختارهم لِـمَا فيهم من صفات طبيعيّة من **قوّة القلب**، فلمّا جاء الإيمان كانت **قوّة القلب** مُسْتَخْدَمة في قُرب الله، وطاعة الله؛ وإلّا فهم كانوا شُجعانًا على وجه العموم، لكن كانت شجاعتهم في قتالهم لبعضهم البعض، فلمّا جاء الإيمان سُخِّرَت هذه الشّجاعة والقوّة في سبيل الله؛ ولذلك الضّعف والخور مذموم شرعًا، ومذموم دنيويًّا؛ فدينيًّا مذموم، ودنيويًّا مذموم.

الضّعف والخور هذا يظهر في كثير من تصرّفات الأمّهات اللاّتي تأتين لنا بجيل كلّ جيل منهم أضعف من الّذي بعده! بدءًا من الخوف من الصّرصور، وانتهاء بالخوف من إرساله للصّلاة؛ كلّ هذا من الضّعف والخور من الأمّهات يأتي لنا بماذا؟ يأتي لنا بأجيال أضعف وأضعف!

---

[63]() أخرجه البخاري (4356).

ولابدّ أن نفهم: أنّ الجبن والخور كصفة إنسانيّة مذموم، وهو أيضًا يأتي بالجبن والخور كصفة دينيّة، فبنو إسرائيل اجتمعت لهم المشكلتان؛ أنّهم تربية فرعون، فأتوا في غاية من الضّعف والخور ولـمّا جاء الإيمان على شخصيّات مثل هذه؛ ما كان عندهم من قوّة اليقين ما جعلهم يرتفعون، فلا شخصيّاتهم وتربيتهم، ولا إيمانهم أتى بهم، فكانت هذه حالتهم! وسنرى أقوالًا لأهل العلم الآن تظهر لنا في تفسير بقيّة الآية، ولماذا حصل التّيه لهم أربعين عامًا؟

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[64].

هذا الإرشاد كان من رجلين مؤمنين من بني إسرائيل، الإيمان ماذا فعل لهم؟ قوّى قلوبهم؛ فالآن هذا الكلام يأتي شاهدًا على **قوّة القلب**، عكس الكلام الماضي كان شاهدًا على **ضعف القلب**.

دعنا نرى: هؤلاء الاثنان أقوياء القلب، ما صفتهما؟

---

[64]() المائدة: ٢٣.

أوّلا: (يَخَافُونَ)، يعني: يخافون الله، يعني: الله في نفوسهم عظيم. هذه هي الصّفة الأولى، **بمعنى:** أنّ أيّ إنسان يدخل اختبارًا، فيه النّاس، وفيه الخبر من الله؛ فيه الإيمان بالغيب، وفيه الأمور المادّيّة؛ كلّما زاد تعظيمه لربّ العالمين، كلّما ضعفت سلطة النّاس وقدرتهم في نفسه، بمعنى: أنّه سيقول لنفسه: "ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ لن يفعلوا إلّا ما كتبه الله، ولن يستطيعوا أن يأتوا شأنًا إلّا شأن قدّره الله، ووراء هذا كلّه الأجر من الله". يعني: أحيانًا يتسلّط أحد على أحد في عرضه، يتسلّط أحد على أحد في ماله؛ فقد يحصل هذا فتبقى المرأة خائفة! **مثلًا:** من جارة، من زوج، أو أعلى من ذلك؛ كلّما خاف الإنسان ربّ العالمين وكان أقوى في تعظيم ربّ العالمين، كان هؤلاء الأعداء أو المتسلّطون في نظر هذا أنّهم تحت سلطة الله، تحت قدرة الله، في يد الله، ما يستطيعون شأنًا إلّا بإذن الله؛ وهذه الاعتقادات هي الّتي تقوي القلب؛ ولذلك: (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) يخافون من؟ يخافون الله. وإذا خاف الله؛ إشارة إلى تعظيمه لله؛ وإذا عظّم الله هان عليه كلّ أحد صُوِّرَ بأنّه عظيم؛ لأنّهم قالوا: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، يعني: عظماء. فهؤلاء (يَخَافُونَ) الله، يعني: عظّموا الله.

لاحظي: أنّ الله -عزّ وجلّ- وصفهم بأنّ الله أنعم عليهما. بماذا أنعم عليهما؟ أنعم عليهما بالتّوفيق، أنعم عليهما بكلمة الحقّ، أنعم عليهما بأنّهم كانوا على الطّريق المستقيم ومتمسّكين، فأتوا شجّعوا قومهم وقالوا هذا القول، قالوا لهم ماذا؟ أعطوهم الطّريق، ما الطّريق؟ (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ)، فقط **فكلّ القضيّة**: أن يرى الله منك قوّة، وشجاعة، وامتثالا؛ فإذا دخلت الباب، وقَدِمْتَ على ما أمرك الله؛ سيكون بعدها الأمر يسيرًا وسهلًا، بمعنى: أنّ الله يريد منك أن تظهري يقينًا به، وأنّك لا تعظّمي أحد على تعظيمه؛ إنّما يكون قلبك مليئًا بتعظيم الله، والخوف منه.

ووعدوهم بأنّهم إذا دخلوا عليهم بهذه الطّريقة (فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ). من أين لهم أن يقولوا هذا الكلام؟ من اليقين لمّا أتى الخبر من موسى، لمّا قال إنّ هذه الأرض كتبت لكم، فادخلوها، فقط كلّ الّذي تحتاجونه أن تكونوا شجعانًا لدخول الطّريق الأوّل، وبعد ذلك الله يسلك بكم.

ولذلك انظرن: ماذا يفعل الشّيطان؟ تكونين أنت تريدين أن تتعلّمي العلم **مثلًا**، تريدين أن تحفظي القرآن، كلّما جئت تقبلين؛ يخوّفك ويقول لك: "أنت لست قادرة على هذه

الالتزامات وأنت ذاكرتك ضعيفة، وأنت لا تتذكّرين أشياء في البيت وتريدين أن تحفظي القرآن!" أنت فقط ادخلي الباب (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ)؛ ثمّ إنّ هذا الطّريق -خصوصًا- طريق العلم أنت فيه لست في منافسة مع أحد فلا تحتاجين له أن تكوني تلك العبقريّة وإنّما ينبغي أن تكوني ذاك العبد المتذلّل لربّ العالمين، الرّاغب في رضاه.

وعلى كلّ حال؛ كلّ باب خير ما تحتاجي فيه إلّا أن تدخلي الباب فقط، فقط تدخلين الباب يعني: أنت تريدين أن تنصحي أحدًا، تريدين أن تطعمي أحدًا، تريدين أن تفعلي باب خير؛ يأتي شياطين الإنس والجنّ فيجعلونه جبلًا هائلًا! **أنت ما هو المطلوب منك؟** ادخلي الباب، في كلّ شأن مطلوب منك أن تدخلي الباب، وتأخذي الأسباب، وربّ الأسباب ينصر، ويعين، ويعطي، ويكفي، ويرفع درجات.

الشّاهد: أمروهم بشيء مهمّ جدًّا، قالوا لهم: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، **معنى ذلك:** أنّ ضعف التّوكلّ، والخوف الدّائم من كلّ شيء "توتّر وخوف"؛ يدلّ على ضعف الإيمان.

واليوم وتيرة الحياة أصبحت متسارعة، متسارعة بحيث أنّ النّاس أصبحوا في كلّ شيء في حال من القلق! **المفترض**: أنّ حياة المؤمن تكون مختلفة عن حياة غيره، وكلّ شيء مبنيّ عنده على الهدوء، والتّوكلّ، والإيمان وأنّه لا أحد سيسبقك إلى رزقك، لا تضاربي أحدًا، لا تحاربي أحدًا، كوني مطمئنّة، اجعلي قلبك مليئًا، مليئًا بالإيمان أنّ ما قُسِمَ لك لن ينازعك فيه أحد.

ولذا تسمعين أن كثيرًا من النّاس الآن مرضى الوسواس، وهو يكاد يكون صفة للنّساء -إلّا من رحم الله- بأشكال وألوان من الوساوس القهريّة؛ سواء في شأنهم، أو في شأن أولادهم، أو في شأن أزواجهم، في شأن حياتهم، في شأن أرزاقهم؛ وهذا كلّه بيد الله مهما كان من جبّار فالله أعظم منه؛ بل الجبّار المطلق، الّذي له هذه الصّفة التّامّة، **هو**: ربّ العالمين، (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ)[65]؛ فهذه الصّفة له سبحانه وتعالى؛ وإن كان بعض النّاس لهم شيء من السّلطة، فلا تظنّي غير أنّهم عبيد في يد الجبّار العظيم سبحانه وتعالى؛ فكلّ مكسور يجبره الله، وكلّ متغطرس متكبّر جبّار يكسره الله ويقصمه.

---

[65]() الحشر: ٢٣.

فالمقصد الآن: أنّ هذين الرّجلين دلّاهم على الطّريق، ادخلوا الباب وأنتم واثقون ومطمئنّون، والمفترض أن تكون عبادتكم عبادة التّوكلّ، (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).

سنرى الآن:

(قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[66].

فهذا هو قمّة الجبن قمّة خور القلب قمّة الضّعف ما فاد فيهم لا كلام موسى، ولا كلام الرّجلين، بل أكّدوا يعني: نحن لو وقفنا على المؤكّدات؛ **سترين**: (إِنَّا)، (لَن)؛ كلّ هذا يؤكّدون أنّهم (أَبَدًا) ما داموا فيها (لَن نَّدْخُلَهَا) لو خرجوا منها، ما هي الفائدة من دخولكم؟

المهمّ: لن نعيد على أنفسنا هذه الحالة الّتي هم فيها. لم يكفهم هذا الخور والضّعف؛ وإنّما تقدّموا إلى إساءة الأدب، الآن جاءت إساءة الأدب، ماذا يقولون؟ (فَاذْهَبْ أَنتَ) ما أشنع هذا الكلام يعني: وصلوا الغاية في سوء الأدب أنّهم يقولون لنبيّهم: (فَاذْهَبْ أَنتَ) إذا كنت واثقاً أنّ ربّك سينصرك (فَاذْهَبْ أَنتَ).

---

[66]() المائدة: ٢٤.

لم يكفهم هذا؛ وإنّما عطفوا ربّ العالمين على موسى (فَقَـاتِلَا إِنَّـا هَا هُنَا قَـاعِدُونَ) **تصوّرن:** هذه الحال إنّما هي من ضعف الإيمان ولذا هؤلاء:

- في كلّ مرّة تتذكّرين حالهم؛ تتذكّرين: أنّ عروق الشّرك الّتي تربّوا عليها عند فرعون، داخلة في أُسِّ قلبهم، فأوصلتهم إلى هذا الحال من التّعامل مع ربّ العالمين.

- نحن في كلّ مرّة نتذكّرهم، نتذكّر: صحابة النّبيّ الكريم، رضي الله عنهم أجمعين.

هم قالوا هذا القول الشّنيع -ونحن لا نريد أن نقف عند هذا القول الشّنيع من شناعته- **دعنا نرى بعد ذلك:** ماذا قال موسى؟

(قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[67].

انظرن: شجاعة موسى -عليه السّلام-، أنّه هو وأخوه سيذهبان إذا أمرهم الله ولو كانوا اثنين؛ فحتّى لو كانوا اثنين سيفعلان ما أمرهم ربّهم، لكن ليس بيده شأن هؤلاء الّذين هم

---

[67]() المائدة: ٢٥.

قومه، فهو لا يملك أمرهم؛ إنّما يملك أمر نفسه وأمر أخيه. **فكأنّه يقول**: "أذهب أنا وأخي ممتثلًا أمرك يا ربّ العالمين، أمّا هؤلاء فلا يد لي في أن آتي بهم" ثمّ وصفهم بأنّهم: (الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)، يعني: احكم بيننا وبينهم، هذا الموقف المتخاذل الدّالّ على ضعف إيمانهم، جعل موسى -عليه السّلام- يصفهم أنّهم من (الْفَاسِقِينَ)، ويطلب من ربّ العالمين أن يَفْرُقَ بينه وبينهم، فأتى الفرقان الآن بينه وبينهم:

(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[68].

هذا الجزاء من جنس العمل، هم رفضوا دارًا قد هيّأها الله لهم، كانت ستلمّهم، ويكونون في أحسن حال، خصوصًا أنّ هذه الأرض المقدّسة قد جعل الله فيها بهاء، وخضرة، وماء، وكلّ ما يشتهيه الإنسان من صحّة، وهواء نقيّ، **سمّاها الله**: أرضًا مباركة؛ لـمّا هم امتنعوا عنها، جازاهم بمثل فعلهم، فأصبحت (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) قدرًا ما يدخلوها ويبقون تائهين. أمّا صفة التّيه، وحال التّيه؛ فهذا الآن ليس شأننا، وحتّى البحث فيه ليس فيه مزيد فائدة.

---

[68]() المائدة: ٢٦.

المهمّ: أنّهم كانوا لا يهتدون الوصول إليها. **ممكن هنا يأتي سؤال:** (أَرْبَعِينَ سَنَة)، لماذا أربعين عامًا وبعد ذلك اهتدوا للوصول إليها؟ **قال كثير من المفسّرين:** "إنّ هذه الأربعين عامًا ربّما كانت سببًا لموت أصحاب هذا القول"، يعني: الآن من قال هذا القول؟ القوم الّذين تربّوا هناك عند فرعون، فجاؤوا وهم قد أخذوا الجبن معهم، فلمّا وصلوا هذه الأرض، وحصل منهم ما حصل؛ فإنّ الأربعين عامًا كأنّها كفيلة بأن يصبح هذا المولود الّذي عمره شهر الآن أو حتّى يومًا، (أَرْبَعِينَ سَنَة)، فيبلغ أَشُدَّهُ؛ وحين يجد نفسه في التّيه -هذا الّذي الآن مولود- ويجد نفسه في حالة من الحاجة إلى ديار، ويحصل له ما يحصل من حال الشّدّة في التّيه؛ يقوى قلبه ويكون مستعدًّا لامتثال أمر الله؛ فيكون من مات في هذا الوقت؟ مات الكبار أصحاب هذا القول. وهذا اختيار كثير من المفسّرين -والله أعلم- أنّ هذا هو الصّواب؛ لأنّ أربعين عامًا كفيلة بإذهاب جيل ضعيف وإنشاء جيل قويّ.

معنى ذلك: أنّ كثيرًا من الشّدائد الّتي تأتي على الأمم؛ إنّما تُذهب بأصحاب خَوَرِ القلب، وتأتي بأصحاب **قوّة القلب**. فنحن نسأل ربّنا أن لا نكون نحن أصحاب خور القلب الّذين يذهبون.

الله يجعلنا من أقوياء القلب، أقوياء الإيمان، يحملون الإيمان في قلوبهم، وينقلونه لمن وراءهم، اللّهمّ آمين.

اللّقاء الرّابع

4 صفر 1441

تابع باب ذكر ضعف القلب وتابع باب ذكر قسوة القلب

التّعليق على الدّليل الخامس

حديث: «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَدِه»

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلّنا على الله، كنّا المرّة الماضية انتهينا من **باب ضعف القلب**؛ وذكرنا تقريبًا كلّ الأدلّة ما عدا الدّليل الأخير الّذي هو الحديث، نتدارسه ونرى علاقته بالباب، وبعد ذلك نعود إلى **باب قسوة القلب**. اقرئي الحديث الأخير، في الصّفحة (17):

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، في كتاب الكبائر في **باب ذكر ضعف القلب:** "ولهما عن ابن عمرو

-رضي الله عنهما- مرفوعًا: «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده، والمهاجر مَن هَجَرَ مَا نَهى الله عنه»[69]."

هذا الحديث في ظاهره لا علاقة له **بضعف القلب**؛ لأنّ **ضعف القلب**، إشارة إلى ضعف الإنسان عن القيام بالأوامر. مثلما أتانا في سورة المائدة في موقف قوم موسى -عليه السّلام-، لـمّا أمرهم الله -عزّ وجلّ- أن يدخلوا، ولم يقبلوا الدّخول ضعفًا وخوفًا وخورًا، فقد كان عندهم خوف لذا أتت آية العنكبوت، سواء كانت: (الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[70]، وقوله أيضًا: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)[71]، هؤلاء ضعفوا عن القيام بما أُمروا به، فهذا هو **ضعف القلب**.

في أوّل آية ذكرها الشّيخ: (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)[72]؛ فبالعكس هذا دليل **قوّة القلب**. فأوّل دليل كان دليلًا على **قوّة القلب**، وآخر دليل أيضا كان دليلًا على **قوّة القلب**، يعني: إذا كان المسلم مؤدّيًا لهذه الأمور، الّتي **هي**:

---

[69]() أخرجه البخاري (10).
[70]() العنكبوت: ١_٢.
[71]() العنكبوت: ١٠.
[72]() الكهف: ١٤.

 أن يسلم «المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده»، **معناه:** أنّه قويّ القلب.

 وإذا استطاع الإنسان أن يهجر «مَا نَهى الله عنه»، فهو المهاجر قويّ القلب.

يعني: الآن الدّليل دلّ على أنّ قويّ القلب هو الّذي يمتثل الأمر، وضعيف القلب يستجيب للهوى، ويكون عنده حالة من الضّعف والخور والجبن؛ فموقفه من الأوامر موقف الضّعيف.

دعنا نزيد بيانًا في هذا الحديث: من أجل أن نتصوّر في حياتنا ما آثار **ضعف القلب**، الآن أنت في موقف ينازعك أمران أمامك:

⇐ **إمّا مثلا:** أن تأخذي حقّك وإمّا أن تتركيه لله.

⇐ **أو صورة أخرى:** أنت الآن في موقف قوّة وأمامك أحد في موقف ضعف ما يستطيع أن يأخذ حقّه، فأنت لأنّك في موقف قوّة ما تهتمّي أن تعطيه حقّه، وما تشعري أنّها مسؤوليّتك أن تعطيه حقّه، من ذلك أنّ العبد أحيانًا كثيرة

يُبتلى بمن يكون هو مسؤولًا عنه مسؤول أن يعطيه حقوقه، مسؤول أن يأتي له بحقوقه، لكن لأنّ هذا صاحب الحقّ ضعيف فأنت لا تشعرين في قلبك قوّة لجلب الحقّ له.

فيصير معنى ذلك: أنّه هناك في النّفس ضعف وخور؛ لأنّك ما أعطيت صاحب الحقّ حقّه، فقد كان من المفترض أن تعطي صاحب الحقّ حقّه.

معناه الآن: الإنسان ينزعه أمران:

الأمر الأوّل: أن يقوم بالأوامر كما ينبغي.

الأمر الثّاني: أن تغلبه نفسه فلا يقوم بالأوامر، لماذا؟ ممكن في الموقف الّذي نتحدّث عنه أن يكون كسلانًا، ليس لديه إحساس بالاهتمام، ليس لديه إحساس بالمسؤوليّة، فما يقوم على رعيّته، عنده أبناء مثلًا، الواجب عليه أن يوقظهم للصّلاة، فلا يهتمّ، **فمعنى ذلك:** عدم القيام بالأوامر يُعتبر **ضعف للقلب**.

من أشدّ **ضعف القلب**، أن يستخدم الإنسان قوّته فيما نُهِيَ عنه، والحديث يدلّ على ذلك، فالمسلم من هو الآن؟ «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده»، حين يتعدّى الإنسان، بقوّته البدنيّة، بلسانه أو بيده على أحد، ويستجيب لداعي

الشّهوة؛ يصبح استخدم قوّته البدنيّة أو اللّسانيّة في تقوية **ضعف القلب**، يعني: أنت عندك قوّة، من المفترض أن تستخدمها في أن تمنع نفسك من أن تمدّ لسانك، وهذا يشبه حديث: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[73].

إذًا: ضعيف القلب إذا أثاره أحد غضبًا؛ يغضب وإذا أثاره أحد واعتدي عليه بلسانه؛ يمدّ يده وإذا اعتدي عليه بأيّ إثارة يمدّ لسانه فما يستطيع أن يضبط نفسه، وهذه إشارة إلى **ضعف القلب**؛ وهذا خطير جدًّا **معنى هذا**: -إلّا من رحم ربّي- كلّنا ذاك الرّجل الّذي إذا جاءه أيّ مثير غضب، وخصوصًا لو كان هذا الّذي أمامه ضعيفًا؛ فيعطيه من لسانه، يعطيه من يده، يتكلّم أمامه يتكلّم من ورائه!

⇐ فكلّ استجابة لمثيرات المعصية دلالة على **ضعف القلب**.

⇐ وبالعكس كلّ ضبط للنّفس قوّة للقلب.

---

[73]() أخرجه البخاري (5785).

فكلّ مرّة يسلم منك النّاس فأنت قويّة القلب، «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده»، فلا تتعرّضي للنّاس لا بلسانك ولا تتعرّضي للنّاس بيدك؛ استخدام القوّة البدنيّة في معصية الله إشارة إلى **ضعف القلب**.

ومثله: «والمهاجر مَن هَجَرَ مَا نَهى الله عنه»، من القويّ الآن؟ الّذي يستطيع أن يهجر ما نهى الله عنه. ومن ضعيف القلب؟ الّذي بمجرد أن يتعرّض لما نهي عنه يجري ويقول: "سمحوا لنا " وكأنّ "سمحوا لنا " عند الله فيها إعذار! فأبواب الفتن الّتي تكون مغلقة يكون المسلمون مكفيين شرّها، وحين يُبتلون بفتحها من المفترض أن يظهر منهم الإيمان، أمّا أن تجري لأيّ باب يُفتح لك وعذرك أنّه فُتح؛ فهذا ليس عذرًا عند الله «المسلِمُ مَن سَلِمَ المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده، والمهاجر»؛ والمهاجر هذا أتته، أو فُتحت له أبواب تُدخله إلى المعاصي، فُتحت عليه أبواب للفتن، هو ليس ضعيف القلب؛ وإنّما هو قويّ القلب، فلو كلّها تسلّطت، فهو يهجرها، فلا يسمعها، ولا يراها، ولا يتحرّك لها؛ لأنّ لا أحد يخرجه من بيته ويقول له: "اذهب هنا وهنا"، لكن **ضعف القلب**، يجعل الإنسان كلّما أُثيرت فتنة دخل لها غير الّذي يسعى أصلًا بقدميه للفتن ويسافر لها، ويبذل جهده، ويجمع ماله

طوال السّنّة؛ من أجل أن يصل لها فكلّ هذا دليل على **ضعف القلب**.

باختصار شديد: في سورة الكهف الله -عزّ وجلّ- أخبر عن هؤلاء الّذين قويت قلوبهم، فربط الله على قلوبهم، فماذا كان موقفهم؟ هجروا «مَا نَهى الله عنه»، يعني: من الدّليل الأوّل إلى الدّليل الأخير، الّذين ربط الله على قلوبهم في سورة الكهف، هؤلاء هجروا «مَا نَهى الله عنه»، فكانوا أقوياء القلب؛ عكسه ضعفاء القلب الّذين ما أن تأتيهم فتنة إلّا ويجعلون (فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)، ويجعلون كلّ أمر فيه فرصة للدّخول في أبواب الفتنة كأنّها فرصة لدخول الجنّة ماذا يفعلون؟ يجرون لها! فهذه لا أعذار فيها، فيها مسؤوليّة فرديّة؛ فيها:

- ⇐ أنت مسؤولة.
- ⇐ وأنت تحاسبين.

فهل واضح لماذا هذا الحديث في هذا السّياق؟ لأنّ:

 صفة قويّ القلب: أن يسلم «المسلمُونَ مِن لسانِهِ ويَده، والمهاجر مَن هَجَرَ مَا نَهى الله عنه»،

 وصفة المهاجر: أن يهجر هو بنفسه، بقوّة قلبه «مَا نَهى الله عنه».

ولا يأتِ يقول: "توفّرت الفرص، هذه الفرصة وآخر مرّة!" ولا يأتِ يقول: "هي كلمة هنا في حلقي لابدّ أن أقولها وجاءت المناسبة والفرصة أن أُخرجها!" ألا يحصل ذلك في مواقف كثيرة؟! يعني: هناك مواقف تكونين أنت من البداية مقهورة من فلانة، وتريدين فرصة تقولين فيها الكلمتين اللّتين عندك، وأمسكت نفسك إلى أن جاءت الفرصة، وأوّل ما جاءت الفرصة؛ وصلت للحالة العالية من **ضعف القلب**، فأخرجتها وأنت من البداية كنت من المسلمين الّذين سلم النّاس من لسانهم ويدهم، هكذا ابتعدت قليلًا؛ لأنّك استسلمت لضعف قلبك؛ لما يأمرك به الهوى.

إذًا: هذه النّصوص كلّها تشير إلي أنّ مقاييس القوّة والضّعف -ليست المتداولة- لأنّ النّاس يتداولون أنّ هذا الكليم الّذي يستطيع أن يردّ ويجادل هو الإنسان الّذي يأخذ حقّه،

وهذا قليل الكلام والّذي قد يُعتدى عليه، لكن يصبر لأجل الله، واثقًا في الله، عندهم ضعيف لكن الحقيقة عكس ذلك:

- ⇐ قويّ القلب الّذي يضبط نفسه.

- ⇐ ضعيف القلب الّذي توصله كلّ إثارة إلى آخر الحدّ.

ثمّ إنّ هذا ضعيف القلب معنويًّا، بعد ذلك يصبح ضعيف القلب حسيًّا! **تصوّري**: كيف يكون الحال حين تُستخرج من قوّتك وبدنك هذه القوّة؟ وفي كلّ مرّة تتعصّبين وتغضبين، ماذا سيحصل في نفس البدن؟ تحترق لهذا الشّيء! فيصير ضعيفًا في قلبه معنويًّا وضعيفًا حسّيًّا أيضًا. يعني: مثل هذا المسلك يأتي بالأمراض البدنيّة بالإضافة للأمراض المعنويّة.

فقويّ القلب قوّة قلبه تظهر في ضبط نفسه على المحرّمات وإن أوذي للدّخول فيها، فما بالك بمن لم يؤذَ وهو سالم من الأذيّة، **المفترض**: أن يكون هجره للمعاصي أقوى.

بذلك نكون انتهينا من **باب ضعف القلب**. سأرجع للباب السّابق الّذي قبله؛ لأنّنا في ختام السّنة الماضية ما وقفنا على النّصوص في **باب قسوة القلب**؛ قرأنا فقط رسالة ابن رجب، في **قسوة القلب**، وتناقشنا فيها، وما ناقشنا النّصوص

الموجودة في الباب. فدعنا نُنهي كذلك هذه النّصوص، ونكون بذلك انتهينا من **الكبائر القلبيّة**، ويكون هذا آخر باب نناقشه فيها.

سنبدأ بقراءة المتن، صفحة (15):

"**باب ذكر قسوة القلب**، وقول الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) الآية[74]، وقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ)[75]، وقوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) الآية[76].

عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «ارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم، ويلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمصرين الّذينَ يصرونَ على مَا فَعلوا وهُمْ يعلمون»، رواه أحمد[77].

وللترمذي عنه[78] مرفوعًا: «لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكر الله فإنَّ كثرةَ الكَلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلبِ وإنَّ أبعدَ القلوبِ من الله القَلْبُ القَاسي»[79].

---

[74]() المائدة: ١٣.
[75]() الزمر: ٢٣.
[76]() الحديد: ١٦.
[77]() أخرجه أحمد (219).
[78]() بل عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.
[79]() أخرجه الترمذي الزهد (2411).

ولهما عن جرير -رضى الله عنه- مرفوعًا: «من لا يرحمِ الناس لاَ يرحمهُ الله» أخرجاه[80]."

سنبدأ بالآية الأولى الّتي في سورة المائدة؛ وهذه الآية فهمها سيكون عمادًا لفهم معنى: **قسوة القلب**. سنبدأ من السّياق، فالآية في سورة المائدة هي الآية (13)، سنبدأ من الآية السّابقة، وسيتبيّن لكنّ أنّ لها علاقة بالآية الّتي استشهد بها أيضًا في **ضعف القلب**.

نحن في **ضعف القلب** استشهد الشّيخ بالآية في سورة المائدة عن بني إسرائيل؛ فهذه الآية الّتي أتى بها في **قسوة القلب**، في نفس السّياق. هيّا بسم الله، سنقرأ الآية السّابقة أوّلًا:

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

---

[80]() أخرجه البخاري (6013).

مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[81].

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ)، يعني: بسبب هذا النّقض، ماذا كان الجزاء؟ (لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً). نحن نريد أن نُناقش الآن هذا الميثاق الّذي جاء في الآية السّابقة، نفهمه، وبعد ذلك نفهم ماذا كان ردّهم الّذي من أجله سُمّي فعلهم نقضًا للميثاق؟

هنا نؤكّد شيئًا مهمًّا: أنّه في أيّ مرّة تسمعين فيها عن بني إسرائيل وصفاتهم، **فالمقصد**: أنّك تعتبرين بهم، يعني: هؤلاء من بني جنسك، هؤلاء من البشر، هؤلاء من بني عمومتك، فعلهم هذا الّذي فعلوه يمكن أن تقعي فيه، فالقرآن ليس كتابًا تاريخيًّا يحكي لك أخبار النّاس وأنت تسمعينه على أساس أنّها أخبار الغير؛ هو كتاب يرشدك إلى الصّواب بطرق متعدّدة، من هذه الطّرق: أنّه يخبرك عن أفعال قوم سبقوك، تُحَذَّرِين منها، أو تُبَشَّرِين بها، **كأنّه يُقال**: "لو فعلت مثل فعلهم، يكون شأنك مثل شأنهم في الجزاء؛ سواء كان استقامة فالجزاء سيكون مناسبًا لهذا العمل، أو خلافه" **فالآن نرى**: بماذا

---

[81]() المائدة: ١٢_١٣.

خاطبهم ربّ العالمين وما هو الميثاق. سننظر للآية السّابقة، الآية (12)، لكن جملة، جملة:

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) نعم، الآن سيأتي تفصيل هذا الميثاق.

(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) يعني: الله -عزّ وجلّ- أمر موسى -عليه السّلام- أن يجعل عليهم اثني عشر عريفًا، أو رئيسًا للقبائل؛ لأنّهم -وكما تعرفن من سورة يوسف- اثنا عشر ابنًا ليعقوب -عليه السّلام- فكلّ واحد من هؤلاء وُضع عليه عريفًا، لماذا هذا البيان الشّديد؟ لتعرفي أنّ الميثاق قد وصل لكلّ واحد فيهم، فليس موسى -عليه السّلام- من بلّغ كلّ القبائل بهذا الميثاق؛ كلّ قبيلة لها عريف، فصار نوع من التّخصّص، هذا العريف ذهب وأخذ الميثاق منهم جميعًا. **سنرى الآن**: ما هو الميثاق؟

(وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) يعني: قبل ذكر الميثاق أتت البشرى بمعيّة الله سبحانه وتعالى.

(لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ) يعني: الآن بدأنا في الميثاق، أنّكم تقيمون (الصَّلَاةَ)، وتؤتون (الزَّكَاةَ).

(وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) **إذًا:** الإيمان بالرّسل، وأيضًا تعظيمهم، والطّاعة لهم، ومن ذلك الكلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فالإيمان بالرّسل الّذي أُمر به بني إسرائيل، يوجب عليهم الإيمان بعيسى -عليه السّلام-، رسولًا أتى لبني إسرائيل، فكان الواجب أن يؤمنوا به، ويحترموه، ويقدّروه، وبعده النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أيضًا.

إذًا: يقيمون (الصَّلَاةَ)، ويؤتون (الزَّكَاةَ)، ويؤمنون بالرّسل الّذين يبعثهم الله.

(وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بمعنى: الإنفاق في سبيل الله.

(لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يعني: الله -عزّ وجلّ- أخذ عليهم الميثاق أن يفعلوا هذه الأفعال؛ وهذا هو الجزاء، **أوّلًا**: تكفير السّيّئات.

ثانيًا: (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يعني: لا سيّئة عليهم، ويدخلون الجنّات، **بمعنى:** أنّ مثل هؤلاء قد ضمنوا الحياة الأبديّة بعيدًا عن النّار؛ فإذا غُفرت الذّنوب لا يدخلون النّار، وَوُعدوا بعد مغفرة الذّنوب بدخول الجنّة، فقد

ضمنوا أن تكون حياتهم الأبديّة في جنّات النّعيم. وحُذّروا التّحذير الثّاني:

(فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) نُبِّهُوا أنّهم لو كفروا سيكونون ضلّوا (سَوَآءَ السَّبِيلِ)، وأكيد أنّهم ستنزل عليهم العقوبات.

تقفين أمام هذه الآية، تقولين: "الأوامر الّتي أمروا بها يسيرة، والوعد الّذي وُعدوا به عظيم، **وهو**: أنّ الله معهم، وأنّه سيغفر لهم ذنوبهم، وأنّه سيدخلهم جنّات النّعيم"، لو صلّوا، وآتوا الزّكاة، وآمنوا بالرّسول، وعزّروه، وأقرضوا الله قرضًا حسنًا؛ ما أيسر هذه الأعمال! ماذا فعلوا؟

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) **إذًا**: هذا الّذي فعلوه: ما قبلوا هذا الميثاق، ولا امتثلوا الأمر، بل إنّه في قصّة بني إسرائيل؛ أنّهم في موطن من المواطن ما قبلوا الاستجابة إلّا لـمّا رُفع عليهم الجبل! جبل الطّور يعني: لـمّا رأوه مرتفعًا؛ ذاك الوقت قبلوا أن يقوموا بالأفعال ثمّ بعدما ارتفع جبل الطّور عليهم، وحصل لهم ما حصل من الخوف حتّى أنّهم كانوا ساجدين ونصف وجههم ملتفت إلى الجبل خائفين أن يقع عليهم؛ ولذلك هذه عباداتهم الآن -بنو إسرائيل- يكون فيها السّجود

ليس كاملًا، إنّما النّصف من وجههم مرتفع، في أصل حالهم أنّهم كانوا يخشون أن يقع عليهم الجبل **بعد هذا كلّه تصوّرن:** قاموا فنقضوا الميثاق وتركوا العهد وقتلوا الأنبياء بل قتلوا حتّى (الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)[82].

لـمّا فعلوا هذا الفعل، يعني: دخلوا باب المعاصي. الآن نرى ما جزاءهم؟

لكن المهمّ: هنا في مبدأ الأمر لابدّ أن تعرفن أنّنا سنترك بني إسرائيل؛ **لأنّكنّ لاحظتنّ**: أنّ الآية الأولى وصفت بني إسرائيل، والآية الثّانية ما أتى فيها بكلام عن بني إسرائيل؛ إنّما كأنّ الآية الأولى فُصِلَتْ في الكلام عن بني إسرائيل عن الآية الثّانية الّتي فيها العقوبة، لماذا؟ من أجل أن يحصل التّعميم؛ كلّ من ينقض الميثاق سيكون هذا حاله.

ما معنى نقض الميثاق؟ معنى نقض الميثاق: ترك ما يوجبه الإيمان من الطّاعة، والاستسلام لربّ العالمين؛ أنت مؤمنة بالله لابدّ أن تستسلمي لربّ العالمين، وليس كلّما عُرِضَ عليك شأن تقولين: "لماذا؟ وكيف؟ وما الحكمة؟ وما الفائدة؟" ألست تثقين في ربّ العالمين؟ أليس ربّ العالمين

---

[82]() آل عمران: ٢١.

كامل الصّفات؟ إذا كنت تثقين في ربّ العالمين لابدّ أن تستحي أن تسألي: "لِمَ أفعل هذا؟" ما دام ربّنا قال لك: "افعلي"، الواجب عليك أن تقولي: "سمعنا وأطعنا"، حالك من حال الصّحابة الكرام الّذين تتبعينهم. ألست أنت تقولين: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[83]؟ وهل هناك أعلى من النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته الكرام، أُنْعِمَ عليهم؟ فأنت طالبة أن تسيري على هذا الصّراط.

أوّلئك القوم قد مُدِحُوا بأنّهم لـمّا سمعوا الأوامر قالوا: "سمعنا وأطعنا "؛ **وهذا الدّين اسمه**: الإسلام، يعني: أصحابه مستسلمون. بينك وبين ربّ العالمين عهد؛ ولذلك أنت تقولين: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ»[84]، «أَنَا عَلَى عَهْدِكَ»، **فالعهد هو ما بيننا وبين ربّ العالمين**: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[85] هذا هو العهد الّذي بيننا وبين ربّ العالمين؛ فترك القيام بالطّاعات والدّخول في أبواب المعصية، **هذا اسمه**: نقض للعهد.

---

[83] () الفاتحة: ٦_٧.
[84] () أخرجه البخاري (5972).
[85] () الفاتحة: ٥.

وهذا أمر مهمّ: أنّك تكونين سائرة لربّ العالمين، عاهدته على أن تعيشي الحياة عابدة له، مستعينة به، **معنى ذلك**: أنّ كلّ حياتك تحت تأثير إيمانك:

- ✔ مؤمنة بالله.
- ✔ متوكّلة على الله.
- ✔ سائلة الله.
- ✔ راجية الله.
- ✔ قابلة أحكامه القدريّة وأحكامه الشّرعيّة.
- ✔ إذا ابتليت بما يزعجك تشتكين إلى الله.
- ✔ إذا أعطاك نعمة تشكرين الله.
- ✔ تنسبين النّعمة إلى الله.
- ✔ تخافين من الله.

✔ ترجين الله.

هذه هي الحياة: هذه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، إذا طلبنا ما نطلب إلّا إيّاه، وإذا قصدنا طلب الرّضا ما نطلب إلّا رضاه؛ هذه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، كلّ الاستعانة بالله، الملك ملك الله، الأمر أمر الله، فما يُرْجَى إلّا الله، ما يطلب إلّا الله، هذه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، هذا العهد الّذي بيننا وبين ربّ العالمين، أنّه لا نأتي في موقف حاجة، ونخون أنفسنا، ونتّوكل على غير الله، ونترك الاتّكال على الله؛ ما نخون أنفسنا في موقف نعمة، ونشكر غير الله وما نشكر الله؛ كلّ هذا نقض للميثاق الّذي بيننا وبين ربّ العالمين.

الشّاهد: أنّ بني إسرائيل، نقضوا الميثاق. ماذا فعلوا لـمّا نقضوا الميثاق؟

- ضَعُفَ إيمانهم.
- ضَعُفَ اتّكالهم على ربّهم.
- ضَعُفَت صلاتهم.

- ضَعُفَت عباداتهم.
- أساؤوا للخلق.
- قتلوا الأنبياء.
- وفعلوا، وفعلوا المعاصي من كبيرها إلى صغيرها

فالجزاء الآن هو شاهدنا في هذا الباب: (لَعَنَّاهُمْ).

الأولى: (لَعَنّاهُمْ)، يعني: طردهم الله من رحمته بعدما وعدهم أن يكون معهم، بسبب نقض العهد.

ما هو نقد العهد؟ الخروج من الطّاعة والتّسليم، والدّخول في المعصية والكفر؛ الكفر هنا يبدأ من كُفْر النّعمة، وينتهي بالكفر الأكبر. هذا أوّل أمر: لعنهم الله.

(وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً). هنا يظهر لنا أنّ قسوة القلب أثر، وعقوبة:

- ⇐ تُضرب بها النّفوس.
- ⇐ تُضرب بها القلوب.

يعني: يأتي الإنسان يقول: "أنتم دائمًا تحذّروننا من آثار المعاصي، والحمد لله أنا أعيش في بيتي مع أهلي ووضعي جيّد ليس هناك أيّ تغيير، عصيت ولم يحدث لي أيّ شيء!" ما يدري المسكين أنّ مجرّد هذا التّفكير يعني أنّه نزلت عليه أعظم العقوبات **وهي: عقوبة قسوة القلب** بحيث أنّه:

- لا يكون هناك شعور بالخوف.

- لا يكون هناك شعور أنّ الملك العظيم، الرّبّ الكريم، مالك الملك الّذي بيده كلّ شيء غضبان عليه.

- وهو يعيش في الحياة ويتحرّك بصورة عاديّة ويتمتّع بصورة عاديّة.

ما يدري أنّ مجرّد كون القلب بهذه القسوة فقد وقع عليه أعظم العقوبات فأعظم العقوبات الّتي يُضْرَبُ بها إنسان: أن يقسو قلبه؛ فلا يملك شعورًا. ما معنى أن يقسو قلبه الآن؟ **تصوّرن:** القسوة ضدّ اللّين، فشيء قاسٍ، وضدّه ليّن. متى يكون الإنسان قلبه ليّنًا؟ إذا كان يشعر بالحقائق.

أنت حين تجدين إنسانًا في مواقف، من الطّبيعة الإنسانيّة أن يكون عنده رحمة، تدمع عينه، يعني: أمور خطيرة يحصل أنّه لابدّ أن يهتزّ الفؤاد لها، يموت أحبابه، يحصل من الأمور الصّعبة أمامه، وهو عادي يعيش حياته بلا دموع تنزل، أنت تفهمين الآن أنّه ماذا ينقصه؟ شعور؛ فشعوره كأنّه تجمّد، كأنّ قلبه أصبح قاسيًا.

فالقلب القاسي يفقد المشاعر تجاه الحقائق الغيبيّة، يصير كأنّ هذا الغيب لا علاقة له به وإنّه من الممكن أن يقول: "سنموت، سنذهب عند ربّنا هناك قبور." لكن هذا كلّه كلام باللّسان، القلب فقد الشّعور بهذا لكنّه لا يقف هنا؛ فلابدّ لقسوة القلب أن تزيد هذا الإنسان فيصل لحدّ يتعدّى حتّى في الكلام فتجده لو أنت قلت له: "لو صلّيت، وصمت، وتصدّقت، ودعوت ربّنا، ربّنا يحلّ لك كلّ هذه المشاكل "، فيقول لك: "أنت ما زلت تفكّرين بهذه الطّريقة التّقليديّة!" إلى آخره فقسوة القلب لا تقف فقط في كونه لا يشعر بالحقائق، ويقوم بالجرائم في أماكن ما يتصوّرها الإنسان، ويسمع الآذان ويفعل الفحشاء والمنكر فهذا كلّه ليس فيه إحساس، هذا الآذان ما يؤثّر على نفسه، يعني أنت لأجل أن تفسّري ظواهر تحصل للنّاس أنّهم يصنعون كلّ شيء يمكن أن يهزّ جبالًا،

ومع ذلك ما ينفعلون معه، يكون السّبب: أنّ قلبه قاسٍ، فحتّى هذه الأمور العظيمة ما تجد في نفسه أيّ أثر ولذلك تجد النّاس خاشعين، مصلّين في شهر رمضان، وهو يقوم بجرائم! النّاس في الحرم يعبدون ربّهم، وهو من الممكن أن يقوم في هذا المكان المقدّس بجريمة! ما هو السّبب؟ ليس هناك مشاعر تجاه الحقائق طبعًا. هذا موضوع طويل، واسع في أطرافه؛ أن نفهم آثار **قسوة القلب** على نفس الإنسان.

لكن في النّهاية بكلمة مختصرة: هو يفقد مشاعره تجاه الحقائق الغيبيّة، فمهما كلّمته عن الغيب، وعن لقاء الله، وعن القبر، وعن أيّ شيء، فلا توجد لديه أيّ ردّة فعل! ليس لأنّه مريض نفسي، وليس لأنّه لا يملك مشاعر أصلًا، لا، بل لأنّ هذا الجزء كلّه أصبح ما يصل إليه أيّ معنى.

ولذلك انظرن في نفس الكتاب: من أجل أن تتصوّروا كيف تكون حال هذا؟ **انظري**: إلى الصّفحة (16)، في الحديث: عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعًا: «ارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم.»، وبعد ذلك قال: «ويلٌ لأقماعِ القولِ»، هل تعرفن القمع؟ القمع يصبّون فيه السّوائل -معروف-، السّائل ماذا يحصل له؟ يدخل من

الطّرف الواسع ويخرج من الطّرف الضّيق يمرّ لغيره؛ هذه **هي**: «أقماعِ القولِ»، يعني: يسمع الكلام الّذي يزلزل جبالًا، لكن أذنه وقلبه مثل القمع، يعني: كأنّه يُدخل من هنا ويُخرج من هنا، فالكلام ما يمرّ على قلبه ولا يؤثّر فيه أبدًا، فهؤلاء القاسية قلوبهم مهما وُعِظُوا، مهما كُلِّموا، مهما خُوطبوا -نعوذ بالله- ما يصل إلى القلب من هذا كلّه شيء، فهذا من أعظم العقوبات وهو في بني إسرائيل أتى بعد اللّعن، يعني: لعنهم الله، طردهم من رحمته، وابتلاهم **بقسوة القلب**.

فليُعلَم بذلك: أنّ **قسوة القلب** تُعتبر نوعًا من أنواع العقوبة، **بمعنى:** أنّ الإنسان يتساهل في الطّاعات، ويترك هذه الطّاعات، وبعد ذلك يبدأ يدخل في المعاصي؛ كلّما حصل تساهل، كلّما سُدَّت هناك خانة في القلب، يعني: كأنّ الرّوح تنسحب من القلب، وتنسحب، وتنسحب، إلى أن يموت القلب، وبعد ذلك هذا الميّت يتخشّب! يصبح قاسيًا مثل الحجر؛ ما يشعر، بل الله عزّ وجلّ -كما في سورة البقرة- وصف أنّ الحجارة أكثر إحساسًا منهم، فهم قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة.

الشّاهد: أنّها عقوبة تُضرب، يعني: متى يتحوّل القلب إلى القسوة؟ عقوبة تُضرب على الإنسان؛ بحيث أنّك مهما وعظته، مهما نبّهته، مهما كلّمته؛ كأنّه ما يسمع، كأنّه ما يرى، كأنّه ما يشاهد الّذي حوله، **مثلًا**: دخل في باب الرّبّا، تأتين تقولين له: "صدّقني لن تربح، لا تقل لي بأنّ النّاس رابوا، النّاس هكذا يعيشون، النّاس لا يستطيعون أن يفعلوا، فكّر في نفسك ولا علاقة لك بالنّاس فأنت ستدخل قبرك وحدك!"، أوّل الكلام من الممكن أن يحصل بيننا نقاش، لكن حين يدخل في هذه المعصية، فإنّ المرّات الّتي بعدها أصلًا ما يسمعك، ما يفهم ماذا تقولين، مهما قلت له بإنّ الرّبا ينزع البركة، وكذا، أبدًا، يمشي في طريقه يرى أنّك ما تفهمين، وحتّى لو نزلت عقوبات عليه بسبب الرّبا **مثلًا**، يفسّرها بمائة تفسير: "السّوق، نصبوا عليّ!" فعلوا أيّ شيء إلّا أن يكون عقوبة من الله!

مثله: يأتي أحد يتكلّم في عرض أحد، تقولين له: "لا تفعل هذا؛ لا تتّهم النّاس في أعراضهم؛ فهذه جريمة، هذه الضّعيفة الّتي تكلّمت في عرضها لو كانت عندها قوّة لأخذتك إلى المحكمة وأقامت عليك الحدّ، لكن لأنّها ضعيفة وما تقدر أن تفعل هذا الفعل، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها، تستطيل في

عرضها؟ فإنّه سيأتيك ما يأتيك من العقوبات، ماذا فعل الله في المنافقين الّذين تعرّضوا لِعِرْضِ عائشة رضي الله عنها، كيف كان حالهم؟ كيف نزلت فيهم آيات؟ كيف ناقشت سورة كاملة هذا المعنى؟"، كأنّه ما يسمعك ويستمرّ، ويستمرّ!

ففي مثل هذه الأحوال الّتي ترين فيها أنّه مهما وعظتِه، مهما خوّفتِه، مهما قلتِ له؛ فليس هناك كلام وليس هناك ردّة فعل، **إذًا اعلمي**: أنّ هذا الشّخص قد دخل في **قسوة القلب**.

سيأتي في نفس الباب الحلّ -إن شاء الله- الله يعافينا من **قسوة القلب**، ويشفي كلّ من ابتُلي بهذا البلاء.

دعنا نرى: ماذا تبع **قسوة القلب** في الآية نفسها؟ (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ). لـمّا قست قلوبهم، وأصبحوا «أقماع القولِ»، يدخل الكلام ولا يصل إلى أفئدتهم، حتّى نفس الكلام الّذي إذا سمعوه، حرّفوه! فهم قد ضُربت عليهم عقوبات، فصاروا حتّى الكلام لا يستطيعون أن يفهموه بالطّريقة المستقيمة صارت الشّواهد الّتي كانت تهزّ قلوبهم سابقًا، هي نفسها الّتي كانوا سابقًا يقرؤونها فتهزّ أفئدتهم، هي نفسها صاروا يقرؤونها ولا يجدون لها أثرًا! بل من الممكن أن يعطوها معنى آخر، ويقولون لك: "من الأوّل عقّدونا وقالوا

لنا معنى النّصوص كذا!" بهذه الطّريقة؛ بحيث أنّه يصل الأمر فيه أنّه لا يريد أيّ واعظ، فحتّى النّصّ الصّريح الّذي كان هو بنفسه متأثّرًا به، يحرّفه من آثار نقضهم العهد يعني: **ضُربت عليهم هذه المسائل**: لُعنوا، ضُربت قلوبهم بالقسوة، ابتُلوا بإمكانيّة تحريف القول.

مثله حين يُؤتى الإنسان جدلًا، يُؤتى الإنسان قدرة أنّه كلّما قلت له كلامًا، فيكون يعرف كيف يدخله ويخرجه، ويأتيك بكلام من هنا ومن هنا، فيشتّتك! لا تفهمين أوّل الكلام من آخره؛ فإنّ هذا ضرب من ضروب العقوبة؛ أن يعاقب الإنسان بالقدرة على تحريف الكلام.

هيّا سنرى أيضًا: (وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ).

كان حظّهم عظيمًا في أنّهم نزلت عليهم التّوراة، وأرسل لهم الرّسول الكريم موسى -عليه السّلام-، وحظّهم عظيم في أنّهم قد بلغتهم الأخبار عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حظّ عظيم! لكن نسوا حظّهم وتركوه، ورموا أنفسهم في أسفل سافلين؛ **إذًا**: هذا أيضًا من العقوبات.

(وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ).

يعني: هؤلاء قد ضُربوا أيضًا بالخيانة:

- خيانة من ينصحهم.

- وخيانة من ينصحون.

بمعنى: لو جاء أحد ينصحهم، ويعظهم، ويقول لهم: "كذا، وكذا يوصل، وأكيد أنت عشت ورأيت هذا الشّيء"، يقول لك: "لا، أنت تكذبين عليّ!" يلف ويدور؛ بحيث أنّك حين تجلسين مع مثل هؤلاء -الله يعافينا- لابدّ أنّه يخرّج نفسه أنّه ليس مخطئًا، ولابدّ أن يستعمل الأدلّة الّتي تستعملينها عليه، وترشدينه لها، وهو لابدّ أن يستخدم الخيانة "الخيانة "، بمعنى: أنّه من الممكن أن يحلف لك أنّه: "لا، فالّذي حصل ليس صحيحًا، لـمّا رابيت ما حصل كذا وكذا وما نُزعت البركة من بيتي، بالعكس كنّا نعيش حياة طبيعيّة!" فأنت لا تصدّقيه طبعًا؛ لأنّ هؤلاء ابتُلوا بالخيانة، يعني: من الممكن أن يقولوا عكس الحقائق، فما يهمّهم هذا لو كانوا منصوحين؛ أمّا لو كانوا ناصحين، فهم أشدّ خيانة، يعني: هؤلاء كان منهم الأحبار والرّهبان، فلمّا كانوا يُسألون عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كانوا أشدّ خيانة كانوا يُنكرون العلامات الّتي يعرفونها!

ودائما في هذا الموقف نقول: اليهود، والنّصارى، يعرفون النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أكثر ممّا يعرفون أبناءهم، وأنت لو كان لك ولد، وجلست في مجمع أولاد، هل تتصوّرين أنّك بسبب الزّحمة تنسين شكل ولدك، حين ترينه ما تعرفينه؟!

الجواب: لا، طبعًا ما دمت بكامل قواك العقليّة ستعرفينه، هؤلاء اليهود كان من معرفتهم للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّهم أتوا من أرض الشّام، الأرض المباركة الخضراء الّتي فيها أنهار وفيها ثمار، تركوها وجاؤوا سكنوا في يثرب، ينتظرون خروج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ وقد كان أحبارهم ورهبانهم يعرفون أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لن يكون من اليهود، كذبوا وخانوا الّذين من تحتهم، وبيّنوا لهم أنّه لابدّ أن يكون يهوديًّا ثمّ لـمّا أتت علاماته صلّى الله عليه وسلّم، خانوا وكذبوا **مثل:** في موقف والد صفيّة رضي الله عنها؛ والدها وعمّها خرجا فاستبانا الأمر، وعرفا يقينًا أنّه رسول الله، فلـمّا العمّ سأل الوالد: «أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيتُ أَبَدًا»[86]، أنت تعرف أنّ معه الحقّ وعرفت العلامة الدّالّة عليه **هل تتصوّرن:** عادا

---

[86]() دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (38).

مغمومان؟ الشخص حين يجد الدّليل الّذي يدلّه على الحقّ، هل يعود مغمومًا؟! عاد مغمومًا! وكأنّه أقسم أنّ عداوته إلى قيام السّاعة (وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ)، خائنة يخونون فيها الحقّ، (إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ).

إذًا نحن سنؤكّد: أنّنا سنترك اليهود، وسنفكّر في أنفسنا، وسنقول: كلّ من نقض العهد، العهد الّذي بيننا وبين الله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، كلّ من نقض العهد وأصرّ على ذلك، فلم يتب، ولم يستغفر، كانت هذه عقوبته.

وأنتنّ لا تتصوّرن: أنّه أوّل ما يُنقَض العهد مباشرة تأتي هذه العقوبات؛ بل الله -عزّ وجلّ- من أسمائه الحسنى وصفاته العلا أنّه حليم، يحلم على خلقه، ويكرّر عليهم، ويعرض عليهم أبواب التّوبة المرّة بعد المرّة، ويذكّرهم بالخيرات، ويفتح لهم باب الحسنات، ويكون الإنسان عاصيًا فيفتح له بابًا للطّاعة، علّ الطّاعة تزيد إيمانه فيعود ويرجع إلى ربّ العالمين، وهذا باب يُفتَح، وهذا باب يُفتَح، ولو أعرض هنا، ولو أعرض هنا، يَفتَح له الباب تلو الباب لأجل أن يعود إلى ربّه، لكن **قسوة القلب** تجعل الإنسان من ذنب إلى أسوأ منه، من ذنب إلى أسوأ منه وهكذا.

إذًا: هذا الكلام الّذي نقوله لابدّ أن تعتبروا، به فلا تنسي: أنّه ما تحصل هذه العقوبات إلّا بعد طول حلم من ربّ العالمين، وكثير عرض لأبواب التّوبة، ثمّ يُضرَب عليهم هذا الضّرب الشّديد، لكن الّذي يقع في ذنب فإنّ الله -عزّ وجلّ- يذكّره، ويورثه شيء من الألم؛ من أجل أن يعود إلى طريقه.

ولذلك من تربية الله لعبده: لكيلا تضربه **قسوة القلب**، أن تتكدّر عليك حياتك بعد الذّنب، لأجل أن تهربي إليه، وتفرّي إليه، وتتوبي وتستغفري؛ يحصل لك كذا، ويحصل لك كذا من الأمور، من أجل أنّك لو لم تحسّي بالآلام، وعدت إلى ربّ العالمين؛ هذا سيكون سببًا لأن تدخلي في الآثام أكثر وأكثر، ومن ثمّ تُضرب هذه العقوبات الّتي أعظمها **قسوة القلب**.

إذًا: من رحمة الله بخلقه أن يعاملهم بحلمه، وأن يربّيهم ببعض الآلام الدنيويّة؛ من أجل أن يتذكّروا ويعودوا فلا يُضرَب على قلوبهم بالقسوة، لكن لو طال الأمد -كما سيتبيّن- في آية الحديد، الإنسان يكون ما عاد، ولا تاب، ولا استغفر، ولا انتفع ممّا يقع عليه؛ فيطول عليه الأمد ويقسو قلبه، فتكون العقوبة **قسوة القلب**.

أودّ أن تبقوا ذاكرات: أنّ ربّنا غفور رحيم، وأنّه يقبل التّوبة من عباده، وأنّ هذه العقوبة ما تقع إلّا حين يطول الأمد في البعد عن الطّريق المستقيم.

هذا الدّليل -الحمد لله- واضح بالنّسبة لنا، وواضح أنّه ليس في بني إسرائيل فقط؛ إنّما الكلام للعموم، لكلّ من سار في هذا الطّريق.

التّعليق على الدّليل الثّاني موطن سورة الزّمر (٢٣)

بهذا نكون قد انتهينا من الآية الأولى، نبدأ في الآية الثّانية من المتن، اقرئيها جملة، جملة:

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا). ما هو (أَحْسَنَ الْحَدِيثِ)؟ هذا الكتاب، القرآن العظيم، وُصِفَ أنّه متشابه؛ **وهنا يُقصَد به:** أنّه متشابه في الحسن والجمال، متشابه في البلاغة، متشابه لا يتناقض، متشابه لا تجدينه يأمرك هنا بأمر ثمّ يأمرك بعكسه، لا ينهاك عن شأن ثمّ ينهاك عن ضدّه، لا؛ وإنّما متشابه بحيث أنّ الإنسان لو سار في طريق هذا الكتاب، وائتمر بأمره؛ لن يجد في نفسه أيّ نوع من التّشتت أبدًا؛ بل هو صراط مستقيم.

وهنا التّشابه ليس المقصود به التّشابه الّذي في آل عمران: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[87]؛ هنا التّشابه شأن آخر، القرآن كلّه متشابه، يشبه بعضه بعضًا، في البلاغة، والحسن، وجماله، وأثره في النّفس؛ القرآن يشبه بعضه بعضًا في أوامره ونواهيه، يشبه بعضه بعضًا في أحكامه، يشبه بعضه بعضًا في أخباره، ما تجدين أخبارًا متناقضة، وهكذا.

هذا وصف كتاب الله، أنّه (مُّتَشَابِهًا)، ثمّ الوصف التّالي أنّه:

(مَثَانِيَ) **بمعنى:** أنّه ثُنّيت فيه الأخبار، فجُمع بين الخوف والرّجاء، بين التّرغيب والتّرهيب؛ بحيث تستقيم النّفس. ما أثر هذا كلّه على الإنسان؟(تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ).

نعم، هذا الأثر المتوقّع، يعني: القوم (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) إذا صفا ذهنهم، وركّزوا فيما يقرؤون؛ يقع في قلوبهم الخشوع الّذي يظهر على جلودهم، تقشعر جلودهم بسبب ما يجدوا من عظمة القرآن الّذي لا يستطيعون أن يعبّروا عنها، تقشعرّ جلودهم بسبب أنّ القرآن أجاب على سؤال كان صعبًا

---

[87]() آل عمران: ٧.

جدًّا الإجابة عليه، طويل التّفكير فيه؛ تقشعرّ قلوبهم لأنّهم كانوا يفكّرون الآن في مسائل ثمّ وجدوا الله يقول لهم كذا وكذا؛ فلحظات الصّفاء مع قراءة الكتاب، وكثرة التّفكير في الأحوال والنّجاة، يعني: **أنت طيلة يومك تفكّرين**: كيف تنجين؟ كيف تخرجين؟ كيف تتصرّفين؟ ما الّذي يُرضي الله؟ ما الصّواب في كذا؟ ما الّذي يقرّبني لله؟ فهذا يشغلك، وبعد ذلك تأتي لحظات صفاء تقرئين فيها كتاب الله، فإذا قرأت كتاب الله وأنت بهذه الحالة، وصادقة في توجّهك للانتفاع بكتاب الله؛ ستجدين في كتاب الله ما يسبّب لك الانبهار، يعني: كأنّ الله يكلّمك، كأنّ الله -عزّ وجلّ- يطبّب جرحك، إن كنت خائفة يؤمنّك، وإن كنت محتارة يدلّك؛ فهذه هبة يهبها الله للمؤمنين لو قرأوا القرآن العظيم كما ينبغي، لكن نحن عندنا تقصير من جهتين:

الجهة الأولى: الانشغال برضا الله ليلًا ونهارًا: ما هي همومك؟ ما الّذي يهمك؟ لابدّ أن يكون الإنسان مهتمّا في كلّ شأنه: "الآن ما الّذي يرضيك يا ربّ العالمين؟"

مثلا: نفترض: عليّ دين: "ما الّذي يرضيك؟ هل أطلب النّاس أم أنكفّ عن طلبهم؟ هل أسالهم أم أنكفّ عن سؤالهم؟

هذه المسألة آخذ فيها بالسّبب أم أصبر ربّما يأتيني سبب من عندك؟"؛ فهذا البحث النّفسي أنّه: "ما الّذي يرضيك في هذا الموقف بعينه؟"، أنت لو ذهبت سألت أيّ إنسان الآن عنده علم: "أنا عليّ دين، هل آخذ بالأسباب وأبحث عن أحد يساعدني في سدّ الدّين؟"، سيقول لك: "طبعًا، الأخذ بالأسباب جائز في الشّريعة ولا مانع منه" والأفضل أنّك مثلا: تدعين ربّنا، وتقولين: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»، إلى «اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[88]، فهذا كلامه، هكذا يجوز، وهكذا أفضل، لكن الآن أنا في هذا الموقف الّذي لا يعلم تفاصيله إلّا الله، ما الّذي يجب عليّ أن أفعل؟ فيرى الله من نفسك بحثًا عن رضاه طيلة الوقت. فهذه أوّل نقطة في التّقصير عندنا، أنّنا لا نسأل، ولا نبحث في نفوسنا: "ماذا أفعل الآن؟ ما هو التّصرف السّليم؟ ما الّذي يرضيك يا ربّ العالمين؟"، يعني: أنت لا تسيري من أجل أن تمر الحياة! **ابقين مركّزات:** فنحن لا نسير من أجل أن نعدّي الحياة والأيّام واللّيالي والأزمات نحن في كلّ أزمة فقط نريد أن نخرج وهو راضيًا عنّا، في كلّ خطوة نريد أن نخرج وهو راضيًا عنّا، في كلّ ليلة نريد أن نخرج من اللّيلة

---

[88]() أخرجه مسلم (5017).

وهو راضيًا عنّا؛ فهل هذا هو المبحث الطّويل العريض الّذي نحن نفكّر فيه؟ فهذا هو الكلام، من هنا فكّري بهذه الصّورة.

من الجهة الثّانية: من هنا أعط نفسك للقرآن: وهذه الغلطة الثّانية الآن: "أنّ القرآن حزب يجب عليّ أن أنهيه في هذه اللّيلة وما أتأخّر عنه!"، وهذا كلام جميل لكن هذا الحزب الّذي تنهيه لابدّ أن تصبّي من معانيه في فؤادك ما تستطيعين، هذا الكتاب كالغيمة المليئة بالخيرات، على قدر ما تَطلبين سقياها يُصبّ عليك، **لكن المشكلة**: أنّ الغيمة تمرّ وهي مليئة بالخيرات وما ألتفت لها: "أن صُبّي عليّ، أعطِني"، فتمر عليك كما تمر على أيّ شيء!

وأنتنّ لو اعتبرتنّ هذا المثل: ستتذكّرن الحديث[89] الّذي فيه أنّ رجلا من بني إسرائيل سمع صوت الملك وهو يأمر السّحاب أن يفرغ ما فيه في حديقة فلان، فحتّى هذا القرآن ما يعطي المعاني للإنسان إلّا إذا أمر الله، إذا فتح الله -عزّ

---

[89]() أخرجه مسلم (5433) _ متن الحديث: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)).

وجلّ- عليك وفهمت كتابه، على من يفتح الله من أجل أن يفهم كتابه؟

- ✔ الّذي أصلا مشغول برضا الله.
- ✔ الّذي أخذ هذا الكتاب منهج حياة يصل به إلى الله.

لكن مجرّد الّذي نراه الآن، خير كثير، الله يحفظ علينا مدارس التّحفيظ، ويحفظ علينا أماكن الاجتماع على القرآن، الله يحفظ علينا هذه الخيرات العظيمة، ويزيدها، ويبارك فيها، وفي أهلها، وفي من يديرها، وفي من ينفق عليها، الله يبارك فيها جميعًا.

لكن لازال الكلام: حين تتعاملين مع القرآن، لا تتعاملي معاملة من يعامل هذا الكتاب العظيم بأسلوب السّرعة، سُرعةً لا تُجدين فَهْمًا، سرعة فيها مجرّد وَهْمَ الإنجاز! وهذا أمر عظيم قد دخل علينا: "أنّني أريد أن أنجز، أن أحفظ، أريد أن أنتهي!" لا، ليس هكذا التّعامل وإنّما:

- ✔ أعطه قلبك كلّه.
- ✔ واطلبي من ربّك أن يشرح صدرك، ويزيد إيمانك.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يزيد إيماننا، وينشر الحقّ واليقين، ويحفظ علينا أماكن العلم، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الخامس

11 صفر 1441

تابع باب ذكر قسوة القلب

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلّنا على الله، نكمل -إن شاء الله- في هذه الجلسة ما مرّ معنا من **باب ذكر قسوة القلب**؛ ونحن كنّا في الكبائر القلبيّة، وقد مرّت معنا كلّها إلى أن انتهينا إلى **باب ضعف القلب**، لكن كما تبيّن لَكُنَّ أنّنا لم نأخذ نصّ كلام الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب، في كبيرة **قسوة القلب**، فالآن نكمل ما مرّ معنا.

نحن مرّ معنا نصّان، أحدهما في سورة المائدة. ما هي الدّلالة الّتي كانت في سورة المائدة على **قسوة القلب**؟ كان هذا الدّليل الّذي في سورة المائدة: أنّ **قسوة القلب** عقوبة يضرب بها الله قلب من سار في الطّريق المعوج. ثمّ أتت آية سورة الزّمر تشير إلى أنّ علامة لين القلب تأثره بالقرآن؛ فهذه هي علامة لين القلب أن يتأثّر بالقرآن.

فأنت الآن إذا أردت أن تعرفي من أنت؟ ماذا تفعلين؟ ترين حالك مع القرآن، إن تأثّرت بالقرآن -طبعا- ليس المقصود أنّه دائمًا وأبدًا، لكن في وقت الصّفاء، في وقت قيام اللّيل، في وقت تكونين فيه خالية، في وقت تمرّ عليك آيات فيها شأنك، الشّأن الّذي يهمّك، الحال الّتي أنت فيها؛ لابدّ أن يلين قلبك؛ إذا وجدت نفسك في كلّ حال لا يلين قلبك فيها مع القرآن؛ فهذا إشارة إلى **قسوة القلب**.

وقيسي على القرآن كلّ كلام يلين القلب من جهة ذكر الله، يعني: إذا سمعت السّنّة، إذا سمعت الآذان؛ لابدّ أن يكون هناك حالة من التأثّر ولو كان نسبيًّا، يعني: **مثلا:** لَيِّنُ القلب يحصل منه الخطأ مثله مثل غيره، لكن حين يسمع الآذان كأنّ موعظة أتته، فيكبّر الله، يتوقّف عن هذا المنكر الّذي يمكن أن يقدم عليه. بينما قاسي القلب من الممكن أن يسمع الآذان، ويمارس المنكر ممارسة كأنّه ما يسمع شيئًا ولا يرى شيئًا ولا يتأثّر بشيء!

فأنت بالنّسبة لك الآن ما هو مقياس لين القلب؟ التأثّر بالقرآن، وبكلّ ذكر لله.

الآن سننتقل للآية الثّالثة الّتي أشار إليها في المتن. نقرأ أوّلا الآية:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[90].

أوّل جُـمَلٍ من هذه الآية هي موطن الشّاهد، الخطاب في الآية(لِلَّذِينَ آمَنُوا). خوطب الّذين آمنوا، فقيل لهم: ألم يأت الوقت الّذي يلزمكم فيه أن تخشع قلوبكم لذكر الله وما نزل من الحقّ؟ يعني: تلين عند ذكر الله، والموعظة، وسماع القرآن؛ فإذا تأثّرت بذلك ظهر أثر لين القلب على السّلوك، وهنا مسألة أن تلين القلوب (لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ)، **يُقصد بها**: القرآن خاصّة، **والمعنى**: أين أنت من تفهّم القرآن؟ أين أنت من تعقّل القرآن؟ لأنّ تفهّم القرآن، وتعقّل القرآن؛ يسبّبان في القلب ليناً، **فكأنّه يُقال:** أين أنت من تفهّم القرآن؟ من تعقّل القرآن؟ حتّى تصلي أن تقولي: "سمعنا وأطعنا ".

---

[90]() الحديد: ١٦.

وهذه الآية كما ذكر ابن عبّاس: "إنّ الله استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم على رأس ثلاثة عشر من نزول القرآن"، **معناها:** مدّة يسيرة، وماذا حصل لهم؟ عاتبهم ربّ العالمين هذا العتاب.

حين نكمل الآية يتبيّن: ما السّبب في عدم لين القلب؟ ربّنا قال إشارة إلى أهل الكتاب: (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ)، ماذا حصل؟ (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)؛ **إذًا:** هذه الآية تدلّك على سبب من أسباب **قسوة القلب**:

السّبب الأوّل من أسباب قسوة القلب: عدم تفهّم القرآن، **بمعنى:** أنّ الإنسان يقرأ في القرآن عن صفات الرّحمن -سبحانه وتعالى- ومع ذلك يُؤْثِرُ أن يعامل النّاس ولا يعامل الله مع أنّ القرآن يصف الله -عزّ وجلّ- بصفات الكمال الّتي توجب التّعلّق بالله، توجب أن يكون الله هو ملجؤنا، ومعاذنا، وملاذنا؛ مع ضعف هذا التفكّر، ماذا يحصل؟ مع ضعف التأمّل، مع ضعف التّفهّم، ماذا تكون النّتيجة؟ أنّه يسمع هذا كلّه ولا زال قلبه قاسيًا.

السّبب الثّاني: طول الأمد: (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)، يعني: طول الأمد بيننا وبين ذكر الله؛ وهنا يتأمّل

المتأمّل شيئًا الشّيطان دائما يغرّ النّاس به، وهو أنّه: "يكفيك من العلم الفهم العام، يكفيك من العلم ما تعلّمته في بداية حياتك، يكفيك من الوعظ ما سمعته العام قبل الماضي، يكفيك من فهم القرآن الفهم الإجمالي، يكفيك من قراءته ما قرأته في شهر رمضان!" بمعنى: أنّ الشّيطان يأتي للإنسان خصوصًا مع الدّعايا الباطلة، والتّخويف من أنّ الاستقامة، والتزام الدّين، تشدّد يصل بصاحبه إلى التّطرف، فيأتي النّاس يتصوّرون أنّه ما دام أنا قبل عام أو عامين سمعت موعظة، أو سمعت كلامًا يكفيني، ولو فهمنا أرواحنا كما فهمنا أبداننا، لكان جهدنا في أرواحنا يكون أعلى من جهدنا في أبداننا؛ لأنّك إذا أردت أن تقيسي هذه المسألة، فمن الممكن أن تقولي: "إذا كنت سأكتفي بمطعمٍ ومشربٍ قبل سنة؛ إذًا سأكتفي بعلمٍ وموعظةٍ قبل سنة! **لكن الحقيقة**: أنّنا كلّ يوم نأكل، هذا إذا لم نكن كلّ ساعة نأكل! فإذا كان هذا هو الّذي يحصل بالنّسبة للأبدان؛ فالأرواح أشدّ حاجة من الأبدان؛ والسّبب في أنّها أشدّ حاجة: أنّها أشدّ خفاء، حاجتك في البدن أكثر وضوحًا، تظهر لك الحاجة، تلحّ عليك، فمباشرة تعرفين أنّك تحتاجين أن تأكلي أو تشربي، تحتاجين أن تنامي، لكن هذه الرّوح الّتي بين

جنبيك تشتكي وتبكي وأنت لا تعرفين ما تفعلي بها، ما لها إلّا التّغذية الّتي قد أتت من جهة الرّبّ -سبحانه وتعالى- التّغذية الّتي نزلت من أجل هذا القرآن؛ لذلك من أسماء القرآن أنّه روح، فهو بالنّسبة للقلب روح القلب، بل هو روح الروح. **وقسوة القلب** من الكبائر، كيف يرتكبها الإنسان؟ في هذه الآية هناك سببان؛ يقصّر في تفهّم القرآن وتعقّله ويطيل الأمد بينه وبين ذكر الله، بهذا تحصل كبيرة **قسوة القلب**. وعلى ذلك الإنسان حين يصل لمثل هذه الحالة أوّل الأمر عليه بكثرة الدعاء والرّجاء لأنّ القلب لا يلين بمجرّد قيامك بالأعمال، إنّما يلين بالاستغاثة بالله والشّكوى لله؛ لأنّك تتكلّمين عن شيء قاسٍ، لابدّ أن تمطر عليه الرّحمات ليحصل له اللّين، ليس بيدك أن تلين قلبك. في أوّل الأمر لو اكتشف الإنسان أنّه داخل في هذه الكبيرة الّتي لها سببان؛ قلّة تعقل وتفهم القرآن وطول أمد بينه وبين ذكر الله، أوّل الأمر: ليخرج من هذه الكبيرة: أن يقبل على الله تائبًا، مستغيثًا، سائلًا، راجيًا.

ما لي إلّا أنت والشّكوى لك، ثمّ يتفحّص الإنسان ما الّذي سبّب **قسوة القلب**، في الدّليل الأوّل تبيّن لنا أن **قسوة القلب** نوع من أنواع العقوبة الّتي يضربها الله على الخلق،

والسّبب أنّهم نقضوا ميثاقهم وما عاهدوا الله عليه وقلّت فيهم المروءة، وقلّ فيهم الحياء، ففهمنا من هذا أنّه يكون نوع عقوبة، وأيضًا فهمنا من الآيات التّاليات أنّ الإنسان يقصر في علاقته بالقرآن وعلاقته بذكر الله فيصاب بهذا البلاء. والحلّ أوّلًا: الاستغاثة، لا حلول عمليّة فورًا، لا تظنّي أنّ بيدك أن تردّي قلبك كما كان، يجب أن تستغيثي بالله حتّى تمطر عليك رحمات الله، إذا حصلت هذه الاستغاثة تأتي الأمر الثّاني المهمّ جدًّا وهو: التّصبّر على سلوك المتّقين.

لا تطاوع نفسك وهواك وتريد أن تقول الذكر أو تقرأ القرآن أو تصلي في قيام اللّيل أو تسرع إلى الصّلاة في وقتها، فتجد نفسك كسلا لا تشعر بالانشراح لذلك، إذا انتظرت نفسك لن تنتهي، الحل بعد أن تستغيث بالله: تتصبر على إلزام نفسك بالصواب، ترغمها على فعل الصّواب ولا تتركها مع طلب العون من ربّ العالمين، اطلب العون طوال الوقت لكن لا تعتقد أنّ الطلب بدون العمل مجد، النّفس لا تطاوعك خصوصًا لو ابتليت بالقسوة، يجب أن تأتي بها رغمًا. نسأل الله أن يجعلنا ممن لانت قلوبهم ويجعل المسلمين كلّهم ليّنة قلوبهم، من تركت

الفرائض تستغيث بالله أن يعطيها العون، أيًّا كان سبّب وصول الإنسان لهذه الدّرجات. استغث بربّ العالمين أن يمطر عليك أمطار الرّحمة ثمّ تأتي لنفسك فتلزمها إلزامًا وتتصبر عليها أن تقوم بما يجب عليها. مثلًا تجد أحدهم يقوم بالصّلاة على وقتها ويأتي بالنوافل والعمرة والحج، وفي وقت الزكاة كأنّه لا يسمع ولا يرى ولا يخرج من ماله، يجب أن يرغم نفسه إرغامًا وإن كان لا يستطيع يوكلّ غيره للقيام بالعمل. إذا بلغ الإنسان هذه الحال يجب أن يجرّها للقيام بالعمل، ونفس المسألة المتّصلة ببرّ الوالدين وصلة الأرحام، إذا قسا قلبه في جهة يستغيث بالله، ثمّ يرغم نفسه على برّ والديه، ويرغم نفسه على صلة الأرحام الواجب عليه صلتهم، نفسك لن تطاوعك، أوّل ما تجد فريضة من الفرائض الّتي وجبت عليك بدأت تقصّر بها، يجب أن تعرف أنّه مثلما يبدأ البدن يفقد شيئًا من حياته، الجزء المسؤول من البدن لا يقسو مرّة واحدة بل قليلًا، قليلًا، والقلب مثل هذا؛ لذا عليه أن يلزم نفسه بالفريضة ويحتال عليها، مثل البخيل الّذي يوصي غيره أن يدفع الزّكاة. كثيرًا ما نستبعد عن أنفسنا أن تحصل مثل هذه القلوب، ونرى **قسوة القلب**؛ أن ريالًا لا نستطيع أن

نخرجه ثمّ نبتلى بهذا، الله يحفظنا من شرّ **قسوة القلب**. أوّل اللّين استغاثة بربّ العالمين، ثمّ التّصبّر على القيام بالواجب علينا، أحيانًا تكون الأمور أنّ هذا معتاد دائمًا أنّ هذا يقرأ ورده بسرعة، ولا يتصبّر على القراءة والفهم، يتصبّر على القراءة والتّفهّم وأداء الفرائض والإحسان للخلق وذكر الله في الخلوة فنفسك لن تعطيك. ليلين القلب لابدّ من كثرة سماع الحقّ، تسمع الحقّ الّذي يمكنك من لين القلب وأحسن ما يكون من ذلك: حضور مجالس الذّكر الّتي يرجى فيها أن يجلس الإنسان مع الملائكة الكرام فيتصوّر المرّة بعد المرّة أن يحصل له حالة من لين القلب وهذا من آثار الرّحمة لأنّ الملائكة تغشى مجالس الذّكر بالرّحمات، وبذلك تلين القلوب.

الأمر الثّالث: كثرة سماع الحقّ.

والأمر الرّابع: مراقبة النّفس في الخلوات.

فإنّ من أسباب **قسوة القلب** الّتي تخفى على الإنسان الذّنوب الّتي يفعلها الإنسان في الخلوات، مراقبة النّفس في الخلوات تعرف الإنسان على سبب قسوة، من الممكن أن يفعل الإنسان أفعالًا في قلبه، وفي الخلوات، يطّلع على

أمور أو ينظر إلى شيء يسبّب له **قسوة القلب**، فيستغيث ربّنا ويتصبّر ويسمع الحقّ ومن جهة أخرى يأتي في خلوة واحدة يفسد كلّ ما فعله، الخلوات غاية في الخطر بالنّسبة للإنسان، واليوم الخلوات أصبحت كثيرة. اليوم النّاس يخلون بأجهزتهم فيدخلون في أنواع من الفساد، هذه مصائب تجرّ رويدًا رويدًا، وتقع أقدام النّاس في مصائب ما كانت محسوبة في حسابهم.

المهمّ: أن نحافظ على أنفسنا، بهذه الأربع مسائل، نستغيث ربّنا أن يلين قلوبنا دائمًا، وليس فقط حين نصل إلى **قسوة القلب** نفعل هذا، ونتصبّر على الطّاعات ونكثر من سماع الحقّ ونراقب النّفس في الخلوات. وهذا كلّه بأمر الله يكون سببًا للين القلب. نرى السّياق يعلّمنا شيئًا مهمًّا جدًّا من الحقّ الّذي يجب أن نعلمه.

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[91].

---

[91] () الحديد: ١٢.

هذه أوّل آية في السّياق، تبشير أهل الإيمان بما سيكون يوم القيامة.

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)[92].

هذا الكلام عن فئة المنافقين، الآيات بشّرت المؤمنين وفضحت المنافقين وبيّنت ماذا سيكون حالهم، وهذه من الآيات المشهورة جدًّا في بيان الصّلة الشّديدة بين المؤمنين والمنافقين حيث أنّهم غاية في الاختلاط الشّديد في الدّنيا ولا يتفرّقون إلّا يوم القيامة، "ألم نكن معكم نشهد شهادتكم ونصلّي صلاتكم ونحضر مجالسكم؟" حتّى مجالس العلم يجلسونها كما قال المفسّرون، مع بقاء **قسوة القلب** فيهم وكلّ هذا لأجل مصالح، لتفرّقي تمامًا بين النّفاق والإيمان يجب أن تعرفي مقصدك من الأفعال، إذا وجدت تقصد بأفعالك ربّ العالمين لا يشوّش عليك الشّيطان، وإذا وجدت نفسك مشوّشًا

---

[92]() الحديد ١٣_١٤.

ولا تعرف لماذا تعمل هذه الأعمال؛ فقط تسير مع السّائرين! هذا يحتاج إلى مراجعة وزيادة قوّة إيمان ليتحرّر مقصدك، ماذا تريدين من خروجك للعلم وحضورك لمجالسه وإظهار سمت الصّلاح، ماذا تريدين؟ هذه كلّها أسئلة يجب أن يكون الإنسان صادقًا في الإجابة عليها.

الشّاهد أنّهم رغم تداخلهم معًا يأتي يوم القيامة يضرب بينهم بسور له باب، هذا الباب لا يدخل منه إلّا أهل الإيمان، هذا الباب يميّز بين أهل الإيمان الّذين يدخلون من ورائه وبين أهل النّفاق الّذين يحبسون فلا يدخلون، أهل النّفاق ينادون أهل الإيمان من وراء هذا السّور، ألم نكن معكم؟! قالوا: بلى. وعدوا لهم خمس صفات من أهمّ الصّفات الّتي تورث **قسوة القلب**. ثمّ يأتي وعيد من ربّ العالمين:

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[93].

لا مناقشات، اليوم سيجتمع المنافقون مع الكافرين ويكون مأواهم النّار.

---

[93]() الحديد ١٥.

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[94].

هذه الآية أتت بعد تبشير المؤمنين وفضح المنافقين وبيان صفاتهم، فقيل للمؤمنين: "ما أتى الوقت الّذي فيه تخشع قلوبكم بعدما سمعتم ما يكون في يوم القيامة؟ ألم يأت الوقت الّذي تبذلون فيه جهودكنّ في تقوية إيمانكنّ لئلا يضعف فيصل إلى حد النّفاق؟" كيف يصل النّاس إلى النّفاق؟ يكون عنده قوة إيمان، يبات المعاني الإيمانيّة في قلبه مثل جبل أحد، ثمّ يتعرّض لخمسة أمور (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)، هذه الخمسة فيها تفاصيل كثيرة لكن ملخصها أن الإنسان يفتن بالدّنيا وقلبه يتجه لها ويفتن بمقامه بها ويشغل عن ذكر الله. يبات وقلبه فيه الإيمان بالله والحقائق الإيمانيّة ولقاء الله ومحبّة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كجبل أحد، يصبح من كجبل أحد إلى حبة خردل! يخرج من قوّة الإيمان إلى ضعف الإيمان، ثمّ حبّة الخردل يدخل لها الشّكّ والغفلة، فيتحوّل من ضعف

---

[94]() الحديد ١٦.

الإيمان إلى النّفاق فيصبح ظاهره أنّه لا زال مع المسلمين وباطنه من المنافقين! يجب أن تدرك نفسك مباشرة، أوّل ما تجد أن هذه حالتك لا تسكت لها، استغث وتصبر واسمع الحق وأكثر من سماعه وراقب نفسك في الخلوات، لا تترك نفسك. من أعظم الحقّ الّذي تسمعه: ماذا ينتظرك عند ربّ العالمين، بشرى لأهل الإيمان وفضح لأهل النّفاق والكفر، كلّما جاء عن اليوم الآخر في تبشير أهل الإيمان، لابدّ أن تبذل جهدك أن تستثمر حياتك لتأتيك لحظّة واحدة في الدّنيا تذوّق هذه البشارة، النّاس يستبشرون بأمور الدّنيا، وحين يبشرهم ربّنا ويأمر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أن يبشّرهم ويقول: "بشّر الّذين آمنوا" ما تجد في وجوههم أثر البشارة، اجعل حياتك استثمارًا أنّك تصل إلى هذه اللّحظة الّتي حين تسمع فيها "وبشِّر" تحصل لك البشارة. وحين يأتي "أنذر" يحصل لك الإحساس بالنذارة، من ضعف ما نعيشه نقول هاتها لحظّة فقط؛ لأنّه مع قوّة الإيمان تنشغل المشاعر بالحقائق الإيمانيّة، فيبدأ الإنسان يذوق طعم الحقائق الإيمانيّة، يذوق البشارة ويخاف من النّذارة، فينشغل قلب المؤمن، أمّا المنافق فهذه الحقائق يسمعها كأنّها خيال، يبقى الإنسان في أماني حتّى يأتي أمر الله.

الآيات في سورة الحديد بيّنت أنّ **قسوة القلب** إنّما تكون بسبب هذه الأمور من قلة فهم القرآن وطول الأمد بينك وبين الغذاء الروحي، حتّى أنّ روحك أصبحت عطشى، تجري وتطعم نفسك وتشربها وترقّيها بدنًا والرّوح تصرخ بالآلام وتظنّين أنّ العلاج أن تشتري وتتمشّى وتتلهّى، لأنّ شيئًا في داخلك غير مستقرّ، لا تدري أنّ هذا صوت الرّوح تريد غذاءها والغذاء ما أنزله إلّا ربّ العالمين.

دائما حين نصل إلى هذا المحكّ تبدأ النّفوس بسبب الشّيطان تدخل في اليأس، ودائما حين نصل إلى هذه النّتيجة يبدأ الإنسان يأتيه إحباط من نفسه. القرآن يعالج هذه المشكلة بأعجب ما يكون من خطاب.

(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[95].

ظاهر هذه الآية أنّ المطلوب منك أن تعلم أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها دلالة على قدرة الله، لكنّها في السّياق ليست هذه الدّلالة الرّئيسية، بعد كلّ ما سمعت وعرفت من أنّ هناك قسوة في القلب سببها الغفلة عن الحقّ، أبدًا لا تيأس من

---

[95]() الحديد: ١٧.

روح الله، أنت تمرّ على أرض غاية في الجفاف وينزل عليها المطر تصبح مخضرّة، في طريق جدّة مكّة في الصّيف لا تظنّي أنّ الجبال تنبت حبّة، أمّا في الرّبيع بعد الغيث المبارك النّافع يصل العشب لطول الإنسان! بعد أن تمرّ في أوقات تعلم إنّها لا يمكن أن تنبت. إذا علمت أنّ هذه الأرض شديدة القسوة وهذا الصّخر شديد القسوة تعلم أنّ من بينه يخرج الخضار! لا تظنّي أنّ قلبك أقسى منها، قلوبكنّ أراضي الحقّ، الله يحييها بالحقّ فلا يأس أبدًا بل تعالج نفسك المرّة بعد المرّة، والشّيطان يريد منك أن لا تتصبّر ولا تستغيث ولا تبذل جهدك ولا تتعلّم، تقول: "تعلّمت لسنوات، ماذا خرج منّي؟" ويريد أن تغرق وتغرق في الخلوات وأبغض ما عليه الآيات الّتي تأتي فتقع في فؤادك فتشعر برحمة الله وتشعر بالأمل في علاقتك مع الله، أن تتوب بعد أن خذل هو ولم يتب، هذا ما يدخل عليه بذل الجهد في أن يشتّتك، والله رحماته واسعة وفضله عظيم على أهل الإيمان ويدخل الجنّة من كان في قلبه ذرّة من الإيمان. فلا يأس من روح الله، لكن كلّ هذا النّقاش لنبذل ما نستطيع ويرى منّا ربّنا البذل، التّصبّر، محبّة رضاه سبحانه وتعالى. تبيّن لنا خيرًا كثيرًا من النّظر إلى سياق آية الحديد.

عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «ارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم، ويلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمصرين الّذينَ يصرونَ على مَا فَعلوا وهُمْ يعلمون»، رواه أحمد[96].

نناقش الحديث جملة، جملة ونرى علاقته بمسألة **قسوة القلب**، (ارحموا تُرحموا) الأمر فيها واضح وهي من أعظم أمور الإسلام، وسننظر إلى ثلاث نقاط فيها حتّى لا نتشتّت لأنّ موضوعنا **قسوة القلب**، والرّحمة هي أحد أظهر علامات لين القلب، وفقدانها أحد أظهر علامات **قسوة القلب**.

الرّحمة هنا بالنّاس والبهائم، **بمعنى:** انتشارها في المعاملات والأمر هنا مطلق، لأنّ الأمر: (ارحموا) عمومًا (ترحموا)، الرّحمة بكلّ شيء، ومن هنا لـمّا رحمت المرأة من بني إسرائيل الكلب فسقته؛ غفر لها، رغم أنّه بهيمة لكن الرحمة به، أنزلت عليها رحمات الله.

نناقش ثلاثة أمور لنتصوّر علاقة الرّحمة **بقسوة القلب** ولينه:

---

[96]() أخرجه أحمد (219).

الأمر الأول: الرّحمة تزيد إذا أراد الله والدّار الآخرة، الرّحمة توجد في كلّ النفوس، وتنقص حين يتنافس النّاس في الدّنيا.

لذا حين نسمع أمورًا خارجة عن الرّحمة بأي صورة يكون السّبب الرّئيس في ذلك: التّنافس على الدّنيا. مثلًا في الشّؤون الاجتماعيّة، النّاس في بيوتهم -الرّجل والمرأة- حين نراهم يتنافسون على الدّنيا يفقدون الرّحمة تجاه الأبناء، فيمكن أن يضحّوا بهم من أجل مصالحهم! مع أنّ الطبيعي، في النّفس الطّبيعية أن تكون الرّحمة بهم أولى من أيّ مشاريع، لكن الدّنيا تغلب على الإنسان فتغلب على القلب القسوة فيكون أقل رحمة. الإنسان كلّما أحبّ الدّنيا ونافس عليها ظهرت فيه عدم الرّحمة وقسا قلبه، حين يرحم الإنسان يكون قلبه لينًا، ويلين قلبه حين يفكّر في الله والدّار الآخرة. الرّأسمالية المتوحّشة في كلّ باب من الأبواب يبلعون السّوق والنّاس؛ التجار الصّغار غير مهمين، **المهمّ:** هم أنفسهم. في البحار باب الصّيد من باب أرزاق النّاس فتأتي الشّركات الرّأسمالية وتحيط المناطق بسفنها الكبيرة فلا يبقى إلّا هم والبقيّة يموتون! لذلك غنيّ يزداد غنى. انظر إلى من أراد الله والدّار الآخرة كيف تكون حالته، قد ورد عند الفقهاء أنّ أحد أهمّ

أمثلة حديث: «ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها، حتى لا تعلم شمالُه ما تُنفق يمينه»[97] أن يشتري بنيّة الصّدقة، مثلًا يخرج من المسجد ويجد عربات الخضار عند باب المسجد ويعرف أنّهم لو باتوا فسدت عليهم خضرواتهم، وهو ليس بحاجة لها لكن في نيّته رحمة بهم أنّ هذا نوع من الصّدقة عليهم، هو يتصدّق بيمينه ما لا تعلمه شماله؛ لأنّه في ظاهر الأمر اشترى ومقصده الصّدقة، وهذه علامة الرّحمة؛ يشتري الإنسان ما لا يلزمه رحمة بصاحب البضاعة. في المقابل قد ذكر النّبيّ -صلّى الله عليه سلّم- ثناء على تاجر، قال: «رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[98] نقارن هذا في الشّريعة بوحشية الرّأسمالية لنفهم أنّ من يريد الدّار الآخرة يجب أن يكون عنده قدر عظيم من الرّحمة، ومن يريد الدّنيا، سيكون متوحّش والشّاطر عند هؤلاء من يستطيع أن يمصّ دم النّاس قدر المستطاع وأن ينهبهم ويغشّهم من كلّ جهة، ويقول: "فرصة ولا علي". من يريد الآخرة يرحم النّاس، ومن يريد الدّنيا يفكّر في نفسه فقط! والسّبب في ذلك: **قسوة القلب** نتيجة حبّ الدّنيا. هذا الأمر الأوّل، الرّحيم لين القلب لأنّه يريد الدّار الآخرة، فتجده في

---

[97]() متفق عليه.

[98]() أخرجه البخاري (2076).

كلّ معاملاته مع الخلق في حالة من الرّحمة. نتصوّر كيف غيمان الإنسان أنّه يقف بين يدي الله طالبًا رحمة الله فيرحم النّاس في الدّنيا لتنزل عليه رحمة الله. يقول له أحد: "أنا عليّ دين ولو لم أقضه سيحصل كذا"، وهو بنفسه عليه دين عظيم وهو متعرّض لنفس الأمر، أصحاب الملايين أيضًا عندهم ديون، فيفكّر أنّه لو رحم هذا؛ سيرحمه الله بناء على النّصّ، فيرحم ويُرحَم، هكذا لين القلب وتذكر ربّه وعظمته وتذكر لقائه يسبّب الرّحمات، لكن من الممكن أن يأتي من يقول: "أنا لست محتاج ولا يهمّ إن فسدت بضاعتك وأنت تنهب" لأنّ قلبه لا يفكّر إلا بالحسابات، لكن هذا يدخل على أهل بيته ويقولون: "عندنا" فيقول: "خير وبركة أعطوه للجيران"، فيصل به، وتفتح له أبواب البركة وتكون في الميزان وهو لا يفكّر إن كنّا محتاجين أو لا، يفكّر في رحمة من أمامه. المديون يعرف أنّ الدّين لا يقضيه إلّا الله فيعرف أنّه لو رحم هذا يرحمه الله. يسمو الإنسان بالإيمان فتأتي الرّحمة، لذلك حين تجد مجتمعات المسلمين فقدت الرّحمة؛ اعلم أنّها فقدت الإيمان. والوحشية الخطيرة الّتي تأتي من الأفكار الرّأسمالية، الّتي يجب أن ندافعها قدر ما نستطيع، وهذه مسؤوليّتنا، تسبّب أن يخلو الإنسان من المشاعر الإنسانيّة، لا يغرّوك بأنّهم

يفتحون مدارس في إفريقيا فهذا تهرب من الضّرائب عندهم، لو كان عنده ضرائب عالية يسقطون عنه نصفها بالأعمال الخيريّة، فمن السّهل أن يعمل عمل الخير، فكلّه كذب. انتهينا من نقطة أن ارحموا ترحموا أصلها أنّ زيادة الرّغبة فيما عند الله يكون قلبه رحيم.

الأمر الثاني: الإنسان المؤمن كلّما زاد إيمانًا تصوّر الموقف بين يدي الله، فطلب الرّحمة في ذاك الموقف برحمة النّاس هنا. **بمعنى:** أنّه يجب أن تكون هناك قوّة إيمان باليوم الآخر، قوّة الإيمان تسبّب الرّحمة لأنّ الإنسان سيعلم أنّه إذا رحم النّاس هنا ربّنا سيرحمه هناك.

هاتان أهمّ نقطتان نناقشهما في هذا النّصّ -إن شاء الله- في المرّة القادمة نكمل النّصّ.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته